علم حديثة

قوله تعالى
ان اول بيت وضع قال النبي عليه الصلوة
يبعث امة من هذه الحرم سبعين الفا وجوههم
كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
ليشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم
كالقمر ليلة البدر

وقد ورد عن عمر رضي الله
اللهم ارزقني في سبيلك وموتي في بلد رسولك
وقد استجاب الله ما دعاه وجمع له بين ما تمناه

اقتداء بالكلام المجيد واقتفاء
بالحديث الحميد ثم قال الفقيه
صلى الله على محمد وعلى آله وأتباعه
المستمسكين لاصحابه وسلم و
هذا طريق الغرابة حيث بادرة
بالتصلية والتحية بين البسملة و
الحمدلة كما هو السنة الجارية و العادة
بان البسملة المشتملة على غاية الا
لوهية وصفات الرحمانية والرحيمية
بمنزلة لشطر الشهادتين من كلمة
التوحيد فلا يتم الفهام الشطر
الا خر لا تمام من التوحيد الخير
ليترتب على توفق تحصيل هذا
المقام فقال الحمد لله و في بعض
النسخ الصحيحة قبل قوله الحمد لله
على الوزن

في نسخة الشيخ الفقيه على الناظم

وعياض بكسر العين على
ما بخط الصاد والفتح اخف وبه
في رواية الشاهيني وهو ابن
موسى بن عياض بن عمرون
يحصب بن مالك قبيلة من حمير
باليمن على الصواب

قال القاضي الفقيه الامام العالم الحافظ
ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
رحمه الله الحمد لله المنفرد باسمه الاحمى المحتضر
بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى الظاهر لا يحتجز وهما
والباطن لا يدرك علما وسبق كل شئ رحمة
وعلما والسابغ على اوليائه نعما وبغضه فيهم
رسوما من انفسهم نقمة وعرفا ونجحا واذكارا تحمده
ومننا وارحمهم عفوا وحلما وازرقهم علما وفهما
واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهرا رافة وزحما
زكاه روحا وحسا وحاشاه غيبا وشما
واتاه خلقا وحكما وفتح به اعينا غلفا وقلوبا
واذانا صما فامن به وعزره ونصره من جعل الله
جل وعزله في معقل السعادة قسما وكتب به وسمه

عن اياته من كتب الله عز وجل عليه الشقاء حتما
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله
عليه وسلم صلوة نموا وتحنى وعلى اله وسلم تسليما
اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين
ولطف لي ولك بما يلطف به لي ولاياته المتقين
الذين نزههم بتزلل قدسه واوحشهم من الخليقة
بانسه وحشهم من معرفة ومشاهدة محجاب ملكوته
وانار قدرته بما منه قلوبهم حيرة وولهة عقوم
في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا وسروره
في الدارين غيره مشاهدة هم بمشاهدة كماله
وجماله يتنعمون وبين انوار قدرته وعجائب
عظمته يتردون ويا لو تقطع اليه والشوق
عليه يتقلقلون لتحين بصادق قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك
كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف
بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له
من توقير واكرام وما حكم من لم يوقر واجب عظيم
ذلك القدر او نقصه في حق منصبه الجليل
فلو مته طلقا وان اجمل لك ما اوسعوا فاوسعنا
في ذلك من مقال واتيتك بتنزيل مشهور ومنال
فاعلم اكرمك الله انك عمكنني من ذلك امرا
وارهقتني فيما تدبني اليه عسرا وارقيتني
بما كلفتني من ذلك مرقاة صعبا منوقلوبا

فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول
وتحرير فصول والكشف عن غوامض دقائق
من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي
والرسول والرسالة والنبوة والتحدي والكلمة
وخصايص هذه الدرجة العلية وهاهنا
فجاج تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا
ومجاهل تضل فيها الوحوش ان لم تهتد بعلم
ونظر سديد ومدارج تزل بها الاقدام
الا بتوفيق تعهد على توفيق من الله وتاييد كما وعد
والله فهذا السؤال والجواب من نوال وتوفيق
بتعريف قدره الجسيم وخطبه العظيم وبيان
خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما مدا الله
تعالى به من حبله الذي هو اوفر في الحقوق ليستيقن
اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا
ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله قراءة
عليه وثنا الحسين بن محمد وثنا ابو عمر الكندي
وثنا ابو محمد بن عبد المؤمن وثنا ابو بكر محمد بن يحيى
ثنا سليمان بن اشعث ثنا موسى بن اسمعيل
ثنا حماد ثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار
يوم القيمة فاذا رأى الى انك سائر عن وجه
الغرض موذيا من ذلك الحق المقتضي اختيارها
اختلسوها على استعجال لما المرء يصدر
اليدان والآل بما طوقه او نسان من مقاليد
المحنة التي بلي بها فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل ومرد بعد حتى التقويم الى اسفل سفلين
ولو اراد الله تعالى بانسان خيرا جعل سفلة وهمه
كله فيما يحمد عقدا ويذم محله فليس ثم سوى احد
النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بحر يصيبه
واستشفاء بتحيه وعمل صالح يستبدي به وعلم ينتفع
بفيده او يستفيده جبر الله تعالى ضرره فلونا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا وتوفر دواعينا فيما يحبه ويقربنا الى الله
زلفا وبخطها بمنه ورحمته ولما تاب الله عليه
وردت توبته وهديت فاصيلة وحصلت
تفصيله وانجح حصره وتحصيله برحمته
يا لشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه
وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا
النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم فوفر وقعه
وتوجيه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول
في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه

* الاخبار والقصة وقعوا في اخر الجزء الاول من هذا الكتاب
* اية الله العظمى الشيخ لا اله الا هو الحي القيوم
اجيزها عن الجزء الاول

عشرة فصول ٢٢ الباب الثاني في تكميله تعالى له
المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة
وعشرون فصلا ٦٢ الباب الثالث فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين
من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا ٩٨ الباب الرابع
فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا ١٥٧ القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه
عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة
ابواب ١٥٧ الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول
١٦٥ الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول ١٧٣ الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم
توقيره وبره وفيه سبعة فصول ١٨٥ الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك
وفضيلته وفيه عشرة فصول ٢٠٦ القسم الثالث
فيما يستحيل في حقه صلى الله عليه وسلم وما يجوز
عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو
سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله
كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده

فيه

فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده
والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند
التقضي لموعدته والتفضي عن عهدته يشرق
صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن
باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر
العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره
ويتحرر الكلام فيه في بابين ٢٠٧ الباب الاول
فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول
في العصمة وفيه ستة عشر فصلا ٢٥٦ الباب الثاني
في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه
من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
١٧٢ القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام
على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم
الكلام فيه في بابين ١٧٤ الباب الاول في بيان
ما هو في حقه سب او نقص من تعريض
او نص وفيه عشرة فصول ١٩٣ الباب الثاني
في حكم شانيه وموذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته
وفيه خمسة فصول وختمناه بباب ثالث ٣٠١
جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين
اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وال النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه واختصر الكلام فيه في عشرة فصول

وتمامها بتمام الكتاب وتمام الوفاء والابواب
ويوم في غرة الوبيان لمعة مسيرة وفي تاج التراجم
درة خطيرة ترجح كل نفيس وتوضح كل تحسين
وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع
بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لوالله
الوهو الملك الحق استعين القسم الاول
في تعظيم العلي الموعلى لقدر المصطفى صلى الله
عليه وسلم قولا وفعلا قال الامام الفقيه
الفقيه ابو الفضل رضي الله عنه لو خفاء
على من لم ار شيئا من العلم او خص بادنى لمحة
من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه
وسلم وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومحامد
لو تنضبط الزمام وتنوعها من عظيم قدره عند كل
عنه الوسنة والوقدوم فمنها ما صرح به تعالى
ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه
وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد اتباعه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى تم عظمه
وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء
الاوفى فله الفضل بدأ وعودا وله الحمد اولى
واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم
وجوه الكمال والجلول وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة

والبراهين

والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي
شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها
علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك
الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم
كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين
بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال
حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابو القاسم
احمد بن خيرون قال حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد بن محبوب
ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ ثنا اسحق
بن منصور ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد عليه افضل
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال
فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله تعالى
واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله
العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره
ونبوبه قدره اعتنى فيها على اظهر معناه
وبان فحواه وجمعنا اذلك في عشرة فصول
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجلى المدح والثناء
وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول

ليلة اسري به بصيغة المجهول والاسراء
كان ليلة اربع وعشرين من ربيع الاول وقيل
لسبع عشر من رمضان وقيل سبع وعشرين من
ربيع الاخر وقيل هو رجب وقيل انه كان في شوال
وكان ليلة الاثنين اول على الغرب وسنه صلى الله عليه وسلم
كانوا ثلاثة وخمسون سنة وشهرا اشهر والاسراء والمعراج
كانا في ليلة واحدة بيقظة بجسده على الراجح وبينهما فرق

اي الى جبريل عليه السلام تحذيرا عما علم
شهرته وبراق كغراب دابة فوق الحمار
ودون البغل سمي به لشدة سرعته كما يقال
مركب برق خاطف او لشدة تلألؤ وبريقه
او بياضه وروي ان وجهه كوجه الانسان
وذنبه كذنب البقر الوحشي وقوائمه كقوائم الفرس
وجنبه كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان
وذنبه كذنب البعير وقوائمه كالابل واطلاقه
كالانسان باقوته وظهره كدرة بيضاء وولد
حمار ودون البغل وفوق الحمار فهذه بضع حافر عند منتهى طرف
الرسغ كذا في الصحاح وهو مذكور وقال ابن الملقن
ان الرسغ كالمنتهى وقوله ثلاثة اوجه الخ كذا في الخصوص بوزن الاثنين وقال الكفيجي
ان الرسغ كالمنتهى وقوله ثلاثة اوجه الخ كذا في الخصوص بوزن الاثنين وقال الكفيجي
خلقا اوجه على هيئة الفرس وجه الانسان الخ وقال ابن الملقن
الرسغ كالمنتهى وقوله ثلاثة اوجه الخ كذا في الخصوص بوزن الاثنين وقال الكفيجي

من انفسكم الاية قال المسمّ قندى وقراءَ
بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور
بالضم قال القاضى الامام ابو الفضل وفقه الله
تعالى اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب واهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسّرين
من المواجهة بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا
من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون
صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك
الفصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن فى العرب
قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره
معنى قوله تعالى الا المودة فى القربى وكونه من
اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه
نهاية المدح ثم وصفه بفعل وصاف محمّده
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسدوهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم
فى دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته
بمؤمنين قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه
رؤف رحيم ومثله فى الاية الاخرى قوله
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم الاية وفى الاية الاخرى هو الذى
فى الاميين رسولا منهم الاية وقوله كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم الاية وروى عن على بن ابى طالب

رضى الله

رضى الله عنه عن النبى عليه السلام فى قوله تعالى
من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس
فى اباى من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر
بن محمد علم الله عز وجل خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكى يعلموا انهم لو نالوا لون الصفو من حدثه
فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم فى الصورة
البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه هو
الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعة
وموافقه موافقته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر رحم الله
محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق
فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى فى الدارين
من كل مكروه والواصل فيها الى كل محبوب
الوتر جاء الله تعالى يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى
خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال الرشيد
رحمة للعالمين يعنى للجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان
من القتل ورحمة للكافرين بتاخير العذاب

قال الكلبى كتب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
حسنات ام قبائح وهل كانت جاهلية وثن ام لا
شيئا مما كانت عليه الجاهلية وثن ام
عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى
وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى
حتى اخرجتك نبيا ممن ثم

لعله اراد بالكلام الاستحالة ان يكون شيئا
مساءة ام لا فانه اذا كان عليه السلام
احمد وقيل انه اذا كان عليه السلام
الحاق وقيل انه اذا كان عليه السلام
او مستحيل وقيل انه اذا كان عليه السلام
هذا امهات المسائل واما باقى الامور
على القاعدة

قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين
اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة
وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء
قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله
عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن محمد
الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب
اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والارض الاية قال كعب
وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وهو قوله مثل نوره اي نور محمد وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات
والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه
وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها
كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة
توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل
في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله

الا بالانبياء واتباعهم وقال بعضهم

تعالى

تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال عز وجل قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى
اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا
القلب قال ابن عباس رضي الله عنه شرحه بالاسلام
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه
حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى
لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك
يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه
السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال
القاضي رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه
صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه
للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل امور

8

الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت
عليه بظهور دينه على الدين كله وحطا عنه
عبدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل
رتبته ورفعة ذكره وقرانه باسمه اسمه فاقتضى
رفع الله عز وجل ذكره في الدنيا والاخرة عليه
خطيب ولو متشهد ولو صاحب صلوة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك
يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت
تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلت
ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن
محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا
ذكرني يا ربوبيه واشار بعضهم في ذلك
الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف
المشركة ولو يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه
عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين
بن محمد الجياني لفظا في اجازته وقرانه على
الثقة عنه قال ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد

بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود
السجستاني ثنا ابو الوليد الطيالسي ثنا شعبة
عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله
عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى
على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي
للتشريك والتراخي بخلاف الواو التي هي للتشريك
ومثله للحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت
او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع
بين الاسمين لتعرف الكناية لما فيه من التسوية
وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على
بعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روى في
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم ينكر
الوقوف على بعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله
تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
اخرون لعلة التشريك وحضوا الضمير بالملائكة

وقد روا الاية ان الله يصلى وملئكته
يصلون وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه
قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله الوجهين روى انه لما نزلت هذه الاية
قالوا ان محمدا عليه السلام يريد ان نتخذه خانا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى
قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته
زعما لهم وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله
تعالى فى ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية
والحسن البصرى الصراط المستقيم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته
واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردى وحكى
مكى عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله
عنهما وحكى ابو الليث السمرقندى مثله عن
ابى العالية فى قوله صراط الذين انعمت
عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله
ونصح وحكى الماوردى ذلك فى تفسير
صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد
وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم فى تفسير

قوله تعالى

قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
الوجه انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد وقال سهل فى قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال
نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون الوجهين اكثر المفسرين على ان الذى
جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم وهو الذى صدق به وقرئ صدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون
وقيل ابو بكر وقيل على وقيل غيرهما من الاقوال
وعن مجاهد فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثانى فى وصفه له تعالى بالشهادة
وما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى
يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الاية جمع الله له فى هذه الاية ضروبا من رتب
الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا
على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهى من
خصايصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى
توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به الحق
حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله

٥ الاثرة بفتح الهمزة والمثلثة الاختصاص بالشئ والانفراد به منه

ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو
بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن
اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش
ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام
ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به

بعد النكرة

بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد
العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين
قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث
اخر لما اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون
لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الايتين وقد قال فبما رحمة
من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله
منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا
لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله تعالى سمحا
سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل
نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس
وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا
ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك

خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله
جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون
نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة
والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي
مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابي
ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد
بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث**
فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة
والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام

بمنزلة

بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون
بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي
عليه السلام بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه
ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله
تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى يسكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته يناط القلب قال نفطويه ذهب ناس
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه
الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن
لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي
رحمه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الراضي
بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران
في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر
المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية
والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل
المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد

وكيف ابتداء بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء
بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة
لشرايط المحبة وهذه غاية الغنايم ثم انظر
كيف بدأ بثنائه وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه
وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براته وفي طي
تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية قال علي رضوان الله عليه قال ابو جهل
للنبي عليه السلام انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذب
قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال
ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية
منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام
والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا او قد كانوا يسمونه قبل النبوة
الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة

الكذب

الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون
ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره
عن من كان قبله ووعده النصر بقوله ولقد
كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال
الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا
بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب
وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه
وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود
يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا
يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل
يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى
بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد
صلى الله عليه وسلم واصله بضم العين من العمر
ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك

يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه
نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال
ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً
اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت
تعالى اقسم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى لعمرك والقرآن
الحكيم الروايات اختلف المفسرون في معنى لعمر
على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة
لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس لعمر
يا انسان اراد بالانسان محمداً صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من اسماء الله وقال الزجاج
قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية لعمر يا محمد وعن كعب لعمر قسم
اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض
يا لفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال
والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر من اسماء
صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه
من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف
القسم الواقع عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء
قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهذه

اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين
بتوحيده الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه
اي طريق لواعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة
فوكد به اولا وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل
من قال انه ياسيد ما فيه وقد قال عليه السلام
انا سيد ولد ادم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا
البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم بهذا
لم يكن فيه بعد حرج منه حكاه مكي وقيل
لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل
لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هولاء مكة وقال الواسطي اي تحلف لك
بهذا البلد الذي شرفته بكونك فيه حياً
وبيتك ميتاً يعني المدينة والاول اصح لان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا
البلد ونحوه قول ابن عطاء وفي تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى بمقام
فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال
تعالى ووالد وما ولد قال اراد ادم فهو عام
ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي اشارة الى
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم
في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال
ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها

ارجو منها ولو يرضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الوية
قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه
او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولو مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في
من القناعة والغنا ويتيما فحدب عليه عمه
واواه اليه وقيل اواه الى الله تعالى وقيل
يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا
واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولو وذعه ولو قاوه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكرها شرفه بنشره
واشاده ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث
فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا حاصل عام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
عليه السلام وقد قيل في قوله والسماء والطارق

وما ادراك

وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم
هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي
تضمنت هذه الويات من فضله وكرامته العدد
ما يقف دونه العدد واقسم جل اسمه على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وتصديقه فيما تلى
وانه وحي يوحى وصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة
الوسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما راى وانه راى من آيات ربه الكبرى
وقد نبه سبحانه وتعالى على مثل هذا في اول
سورة الوسرا ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت
لو تخط به العبارات ولو استقل بحمل سماعه
ادناه العقول رمز عنه تعالى بالويا والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده
ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحي والوشارة وهو عندهم
البلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى اختصرت الافهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت الاوهام في تعيين
تلك الويات الكبرى قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله واشتملت هذه الويات على اعلام الله
تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم

ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الاية
قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له
او هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه
من القناعة والغنا ويتيما فحدب عليه عمه
واواه اليه وقيل اواه الى الله تعالى وقيل
يتيما لا مثال لك فاواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا
واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف
بعد اختصاصه واصطفائه السادس
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث
فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام
لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم اذا هوى باقاويل معروفة منها
النجم على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
عليه السلام وقد قيل في قوله والسماء والطارق

وما ادراك

وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم
هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي
تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد
ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى
وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر الله تعالى عن فضيلته بقصة
الاسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق
بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى
وقد نبه سبحانه وتعالى على مثل هذا في اول
سورة الاسرا ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت
لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع
ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده
ما اوحى وهذا النوع من الكلام تسميه اهل النقد
والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم
ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين
تلك الايات الكبرى قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله واشتملت هذه الايات على اعلام الله
تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم

وعصمتها من الوفات في هذا المسرى فزكى
فواده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله
تعالى ما كذب الفواد ما راى ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم
اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله
ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى
في السماء امين على الوحى قال على بن عيسى
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو
جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعنى
محمدا صلى الله عليه وسلم قيل راى ربه وقيل
راى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين
اى بمتهم ومن قرا بالضاد فمعناه ما هو ببخيل
بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد
صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن
والقلم وما يسطرون اقسم تعالى بما اقسم به
من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه
وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة

واعلى

واعلى درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه
بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع
لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك
لاجرا غير ممنون ثم اثنا عليه بما منحه من هباته
وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد
فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل
الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك
همة الا الله قال الواسطى اثنا عليه بحسن قبوله
لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى
اليه ثم اثنا على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا
بما وعده به من عقباتهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه عليه السلام
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه
بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير
الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام
شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان

وسنكويه اى نكوى وجهه
ونسود وجهه

17

صلى الله عليه وسلم الفصل السادس
فيما ورد من قوله تعالى في حقه عليه السلام
مؤرد الشفقة والاكرام قال تعالى طه
ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من
عليه السلام وقيل هو اسم الله تعالى وقيل
معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر
يا هادي وقيل هو امر من الوطئ والها كناية عن الارض
اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالوعتاد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا
عليك القران لتشقى بل انزلناه لتسعد فما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب
وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابو الوليد الباجي اجازة ومناولة نقلت
ثنا ابو ذر الحافظ ثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم
بن حريم الشاشي ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم بن
القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع
فانزل الله تعالى طه يعني طئ الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القران لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام
وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام
كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا

من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غيضا
او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ
ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية
قال مكي سلاه تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى
من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك
نحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم
من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله
بما اخبره به عن امم السالفة ومقالها لانبيائهم
قبله وسخريتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته عليه
من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى
فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في
ما بلغت وابلوغ ما حملت ومثله قوله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على

اذا هم فانك بحيث تراك وتحفظك سلاه الله
بهذا في اي كثيرة من هذا المعنى الفصل السابع
فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره
وشريف منزلته على الانبياء وخطوة رتبته
من ذلك عليهم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله
من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي اختص الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره
آبائه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون
اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له
محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله
نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد
صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدي وقتادة في اي تضمنت فضله من غير
وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام

ومنزلته اي رتبته الرفيعة عنده
والعرب يقول المنزل في الحسي
والمنزلة في المعنوي كالمكان والمكانة
شهاب

بكايه

بكايه النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي
انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك
عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم
فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون
ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره
قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله
عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم
درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
الى الاحمر والاسود واحلت له الغنايم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطي
فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله
عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله
تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة
والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول

وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى
وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد
صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم
اي على دينه ومنهاجه واختاره الفراء وحكاه عنه
مكي وقيل المراد نوح عليه السلام **الفصل الثامن**
في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته
ودفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي
من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله تعالى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله
وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم
ودرأ به العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون
اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم
عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم
فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل
ابن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا
ابو يعلى ابن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد
بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان

بن وكيع

بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن
مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة عن
ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي
قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته
باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا
البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل
نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة
ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه
وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء اول
قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني
في الصلاة على هذا اي في صلاة الله علي
وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة
والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله
تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة

عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر
حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير
حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله
لنبيه قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته
قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده
قال ايدك بنصره والعين عصمته له قال
والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه
قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال
تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية
مولاه اي وليه وناصره وصالح المؤمنين
قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
المؤمنون على ظاهره **الفصل التاسع فيما
تضمنته سورة الفتح من كراماته** قال الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم
تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه
وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر
الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه
بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشيعته وشريعته وانه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وبما يكون قال
بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك
مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة
وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا

بعد فضل

بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع
من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل
برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك
فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره
وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة
ونصره النصر العزيز ومنه على امته المؤمنين بالسكينة
والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم
بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم
وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب
وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل
محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له
من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه
وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه اي يعظمونه
وقرا بعضهم ويعززوه بزائين من العز والاكثر
والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال ويسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال
ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه
السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام

الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام
النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية
وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته
ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته
الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم
اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل
قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده
وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد
لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه
وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب
الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية

حيث وصلت

حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه
الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة
اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم
انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة
الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي
بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر فيما
اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه
ومكانته عنده وما خصه به من ذلك**
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك
ما نصه الله تعالى من قصة الاسرا في سورة
سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وشانه وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله
وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ
على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة

الغار وحديث الهجرة ومنه قوله انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر
اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر
في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم
تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى
ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد والذي
لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السبع الطوال الاول
والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني
ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب
واعذار ونعم واتيناك بنا القرآن العظيم وقيل
ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل لله
اثنتاها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له
دون سائر الانبياء وسمي القرآن مثاني لان القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والتكينة وقال انا نزلنا اليك الذكر
الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الاية قال القاضي رحمه الله هذه

من خصائصه

من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم ونعت
محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال
تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم ايما انفذه فيهم من امر ونهي وماض عليهم
كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره
اولى من اتباع رأي النفس وازواجه امهاتهم في
الحرمة كالوالدات حرمن نكاحهن عليهم بعده
تكرمة لهن وخصوصية ولهن له ازواج في الجنة
وقد قرئ وهو اب لهم ولو يقرأ به الان لمخالفة
المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة الهية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل
بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها
اشارة الى اختلال الرؤية التي لم يحتملها موسى
صلى الله عليه وسلم الباب الثاني في تكميل الله
تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه تسعة اعلم انها المختار
لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث
عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان تحصيل الكمال
والجمال والكمال في البشر نوعان ضروري
افضته الحكمة وضرورة الحياة الدنيا والكمال

23

وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفا ثم هي
على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري
المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل
ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة
حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود
الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار
والرحمة وحسن الاداب والمعاشرة واخواتها وهي
التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق
ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه
من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه
ان شاء الله وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها

وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن
وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة
وان اختلفوا في موجب حسنها وتفصيلها **فصل**
اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه
ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او
اثنين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب
او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة
حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له
بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو
منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر
من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا
حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء
والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد ادم
ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطاء الرضا والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم

وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر
وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة
وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم
وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع
الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته
وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم
ونبع الماء بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب
والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا
وإبراء الأكمه والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله
لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون أدانيها الوهم **فصل إن قلت أكرمك الله**
لا خفاء عن القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم
أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبي
وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي
وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي

هي

هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
عليه السلام حائزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك
بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع **أما الصورة**
وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك
من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين
وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة
وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب
وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك
وحكيم بن حزام وغيرهم من أنه صلى الله عليه
وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب
الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل
الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة
القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير
المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد
ينسب إلى الطول الأطال صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر إذا افترضا حكا افتر عن مثل

وهو أبو النضر الأنصاري البخاري
الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر سنين وعمر مائة سنة
وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة
سنة إحدى وسبعين وقيل ولد له مائة ولد
منها ثمانية وسبعون ذكرا روى عنه الزهري
وغيره
وسائل شرح الشمائل

سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي
كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا
ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة سوداء
في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري
في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال
جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله
عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض
ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة
يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال
علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه
نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
الى المطلوب ان شاء الله تعالى وختمنا هذه الفصول
بحديث جامع لذلك نقف عليه هناك ان شاء الله تعالى

فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه

ونزاهته

ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان
قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في غيره
ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر
وقال بني الدين على النظافة حدثنا سفين
بن العاص وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر
ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر بن
سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله
عليه وسلم مسح خده فوجدت ليده بردا وريحا
كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها
بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت
امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله
في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيبه ذكر اسحق بن راهويه ان تلك
كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم

اي طول نهاره على الجدر

وروى المزني عن جابر رضي الله عنه اردفني
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض
المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رائحة
طيبة صلى الله عليه وسلم واستند محمد بن سعد
كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة رضي الله
عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك
تاتي الخلاء فلا ترى منك شيئا من الاذى فقال
يا عايشة اوما علمت ان الارض تبلع ما يخرج
من الانبياء فلا ترى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن
مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول
بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر الحسن بن سابق المالكي في كتابه
البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم
منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره
ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه
غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت
انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجد

مثلها قط

مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه
حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه
وقد روى نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله
فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحديث
هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني
مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه
المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن
وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه
من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه
شيئا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره
وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع
السرة وروي عن امه امنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قط وعن علي رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو يعطاه غيري فانه لا يراني
أحد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة
عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ
وكان اذا نام نفخ ثم قام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لوثة
كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

فصل واما

وفور عقله وذكائه لبه وقوة حواسه وفطنته

لسانه واعداد الى حركاته وحسن شمائله فانه
انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل سيرته
امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للخاصة
والعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضيره
عما افاضه من العلم وفرقه من الشرع دون علم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب
منه كم يمر في بحار عقله ونفوذ فهمه لو قيل
بديهة وهذا ما يحتاج الى تقريره لتحقيقه فقد
وهب بن منبه قرأ في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية
اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يقبض
الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل
في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل
من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من

وهو نور او قوة اودعه الله في الانسان
يميز به بين الاشياء وبها فاسد اغراض
كالعلوم والعلوم الضرورية وعلى محل
القلب او الدماغ قولان واصل معناه
المنع ومنه العقال لمنعهم عما لا يليق

والصبر وهو حبس النفس اذا اطاعته
مصيبة

احسن صورته
بشكل الطف
اعضائه وهيئا
لوجود واعد الاد
له وهو الذي
وجهه على الع

كما يرى من بين يديه وبه صرح قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه
السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه
عن انس في الصحيحين وعن عائشة رضي الله
عنها مثله قالت زيادة زادها الله اياها
في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من وراء
كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر
من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي
ابن مخلد عن عائشة قالت كان النبي صلى الله
عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء
والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله
عليه وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشي
حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى سجده وقد حكى
عنه انه كان يرى في الدنيا احد عشر نجما وهذه
كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن
حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم
والظواهر تخالفه ولا حالة في ذلك وهي
من خواص الانبياء وخصائصهم كما اخبرنا ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن
المقرئ القرعاني في حدثنا ام الفضل بنت ابي بكر
عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني
نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان

ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن ثابت عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى
عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا
ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى
من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه
صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان
شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفي ان ضحكه كان
تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى
تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل واما فطاحة
اللسان وبلاغة القول فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم** من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة
منزع وايجاز مقطع وبضاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم
وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب

كل امة

كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه
في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس
كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد
ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس
ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم
فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها
وترعون عفاءها لنا من ذفيهم وصرامهم
ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح
وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة
كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع
الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة
ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوات
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس

اي المسن من الابل وقيل من البقر قوله لا فارض ولا بكر

اي الهاء القليل لا مادة له والمعنى اجره لهم حتى يصير كثيرا

29

لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم
ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرياق من اقر
فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه وفي اليتيمة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا
توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر
حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا
من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام
هولاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين
للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا
هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله
في حديث العامري حين ساله فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم سال عنك اي سل عم شئت
وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف
الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يبارى

بلاغة

بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى
بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير
في صحبة من لا يرى لك منه ما ترى له والناس معادن
وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا
فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم
مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يعنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض
دعائه اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها
قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي
وترد بها الفتى وتعصمني بها من كل سوء
اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل الشهدا

وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه نزل من ذلك مرقبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها
سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي
لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها
كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره
في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها
ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه
صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ما رأينا
الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما
انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال
مرة اخرى بيداني من قريش ونشأت في بني سعد
فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
ورونق كلامها الى التأييد اللاهي الذي مدده
الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد
في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان
منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة
صلى الله عليه وسلم **فصل واما شرف نسبه**
وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه
ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم

نخبة

نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف
العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة
من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده **حدثنا**
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله
ثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر
عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق
وابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي
كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير
البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال
الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر
رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال
ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم

ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشاً ثم اختار قريشاً
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني
فلم ازل خياراً من خيار الا من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن
ابن عباس ان قريشاً كانت نوراً بين يدي الله
تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام تسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله
آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض
في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني
من اصلاب الكرماء الى ارحام الطاهرات حتى
اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم فصل واما ما ابدعوا
ضرورة الحيرة اليه مما فضلناه فعلى ثلثة
ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل
في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما ما
والكمال بقلته اتفاقاً وعلى كل حال عادة
وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب
والحكماء تتمادح بقلتها وتذم بكثرتها لان كثرة
الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره

وغلبة

وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة
جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء
الدماغ وقلته دليل على القناعة وبمثل النفس
وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الغفلة والضعف وعدم الذكاء والفطنة
مسبب للكسل وعادة الغجر وتضييع العمر
في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد
وينقل متواتراً من كلام القوم المتقدمة والحكماء
السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح
الحديث واثار من سلف وخلف مما لو يحتاج
الى استشهاد عليه اختصاراً واقتصاراً
على اشتهاره بالعلم به وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالوفي هذا
ما لا يقع من سيرته وهو الذي امر به وحض
عليه لوسيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا
ابو الفضل الوصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ
ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله
بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن
جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم

وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولون كثرة النوم
من كثرة الشرب والاكل قال سفين الثوري
بقلة الطعام نملك سهر الليل وقال بعض
السلف لو تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتزقدوا
كثيرا فتحسروا كثيرا وقد روى عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على
صغف اي كثرة الايدي وعن عايشة لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه
كان في اهله ليسالهم طعاما ولا يشتهيه ان
اكل وما اطعموه قليل وما سقوه شرب ولقد
على هذا بحديث جرثرة وقوله الم ار البرمة فيها
لحم اذ لعل سبب سوالها ظنه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ لم
لم يقدموا اليه مع علمه انهم لا يستاثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه
من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة نامت
الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال بعضهم لو يعلم العلم من ياكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فلا اكل متكيا والاتكاء هو التمكن للاكل

والتقعد

والتقعد للجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يسدعى الاكل ويستكثر منه
والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه
للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق
عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه
وسلم كان قليلا وشهدت بذلك الاخبار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وكان نومه على جانب اليمين استظهارا
على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهناء
لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيسدعى
ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام
النائم على اليمين تعلق القلب وقلق فاسرع
الى افاقة ولم يعم الا بستغراق فصل والضرب الثالث
ما يتفق التمدح بكثرته والتخير بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة
فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتبادح سيرة
ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال
ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء

بفتح نون فهمز ايما الذي يظهر
والله اعلم اكتب
وافق على

بفتح قاف وكسر لام ايعلم بستوفز اي جالس
على اطراف

بضم الميم ايعلم بستوفز اي جالس

33

مشيرًا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم تناكحوا فاني مباه بكم الامم
ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر الذين بنيت عليهما صلى الله عليه وسلم
بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج حتى لم ير العلماء ما يقدح في الزهد
قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان
زهاد الصحابة كثيرى الزوجات والسراري
كثيرى النكاح وحكي ذلك عن علي والحسن
وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله
عزبًا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل
وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورًا
فكيف يثنى الله عليه بالفخر عما تعده فضيلة وهذا
عيسى عليه السلام قد تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم ان شاء الله على يحيى بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبًا او لو ذكر له
بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء
وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء
وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها
كأنه حصر عنها وقيل مانعًا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل

(حيا ان حصورا معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء هيوب اي صلب يهاب الذنب فيتقيه)

في كونها

في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى
عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام
وفضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الوقات
حائلة الى الدنيا ثم هو في حق من اقدر عليها وملكها
وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا
وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي
لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ
دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر
من النساء والطيب الذين هما من امور دنيا
غيره واستعانة له لذلك ليس لدنياه بل لاخرته
للفوائد التي ذكرناها في النزوج والقاء الملوك
في الطيب ولانه ايضا مما يختص على الجماع ويعين
عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين
لاجل عبده وقمع شهوته وكان حبه للحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الجنين وفصل بين الحالين
فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى
عيسى ويحيى في كفاية فتنهن وزاد فضيلة
بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن
اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا

ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على
نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى
عشرة قال وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن
طاووس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين
رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه
السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان
في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت
له ثلاثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش
سبع مائة امراة وثلثمائة سرية وقد كان لداود
عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع
وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه
على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس
عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع
بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه
عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى

عليه السلام

عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن
افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة
فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد
في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند
الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذونه اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا
واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره
في ذلك معروفة كان يهت ويفرق لرؤيته
من لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما
عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة
وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم
ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجله لكثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته

وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له
في مهماته ومهمات من اعتراه وامّله وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن
والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه
في سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة
كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه
عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل
ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به
الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي فالحقيقة
ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس
في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد
المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال
تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد

واحلت له

واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه
في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وجلبت له من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادنه جماعة
من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا
امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به
غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي
احدا ذهبا يبيت عندي منه دينارا الا دينارا
ارصده لديني وامته دنانير مرة فقسمها وبقيت
منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم
حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات
ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته
وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه
وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس
في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ
ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة
في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف
والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه ليس
مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي
الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك

وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود
الى التفنن بكثرة الموجود ووفور المال وكذلك
البناء فيجودة المسكن وسعة المنزل وكثرة الرقيق
وخدمه وفركوبات ومن ملك الارض وحيي اليه
ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة
المالية وما لك للفخر بهذه الخصلة ان كانت
فضيلة زائد عليها في الفخر ومعروف في المدح بإضرابه
عنها وزهده في قنيها وبذلها في مظانها فصل
واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة
والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فاضرب عما فوقه وانتي الشرع على جميعها وامرنا
ووعد السعادة الدائمة للتخلق بها ووصف
بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي السماحة بين الخائف
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والبسط
فيها دون الميل الى طرفي افراطها وتفريطها فقد كان
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على اتم نهاية في كمالها
والوقوف الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه
بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه
ويتخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن

على بن

على بن ابي طالب مثله وكان فيما ذكر المحققون
محمولا عليها في اصل خلقته واول فطرتهم مجبولا
باكتسابه ولو رياضة الا بجود الوهبي وخصوصيته
ربانية وهكذا السبائر الانبياء ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم تحقق ذلك كما عرف
من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم
عليهم السلام بل عرفت فيهم هذه الاخلاق
في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة
قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
اعطي يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله في حال
صباه وقال مجاهد كان ابن سنتين او ثلاث قال
الصبيان لم نلعب فقال اللعب خلقت وقيل
في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدق وهو في بطن امه فكان
يجيء يقول لهم اني احد ما تعني وتصلي يسجد الماء في
تحيته له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه
عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على ولادته
من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال
فهمنا ها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر
من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرأتين

على

وفى قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه
وحكى الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك
اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون
واحدة بلحيته وهو طفل وقال المفسرون فى قوله
تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اى هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم
بعث الله اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يقربه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل
افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم
عليه السلام فى النار ومحنته كانت وهو ابن
ست عشرة سنة وان ابتلاءه بالذبح وهو
ابن سبع سنين وان استدلاله ابراهيم بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر سنة
وقيل اوحى الى يوسف وهو صبى عند ما هم اخوته
بالقائه فى الجب بقوله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم
وقد حكى اهل التير ان آمنة بنت وهب اخبرت
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولدته
باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السما
وقال فى حديثه صلى الله عليه وسلم ما نشأت
بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر وما هم
بشئ مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين

فعصمنى الله منهما ثم لما اعدنى بمكنى الوحى لهم
وتتابعت الفواتح عليهم ونشرت الفواتح
المعارف فى قلوبهم حتى بصلوا الغاية فى
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه
الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده
واستوى اتيناه حكما وعلما وقد يخبر عز اسمه
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها غاية من الله
تعالى كما شاهدنا من خلقه بعض الصبيان
على حسن الشمائل او البهائم او صدق الملك
او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فاكتساب
يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل مسخرها وباختلاف هذين
الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما اختلف السلف فيها هل هذا الخلق
جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد وحكاه
عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو الصواب
ما اصلناه وقد روى سعد عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال كل الخلق يطبع عليها المؤمن والخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب فى حديثه والجراة
والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء وهذه

المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة ولكنا
نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى

فصل واما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن
والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه
منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واد جلالة محله
من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع
مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه
وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل
الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم
التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة
واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في
معجزاته ان شاء الله دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة

كتب

كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي
امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر
ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت
معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله
واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن
دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر
بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبرئيل عن تأويلها
فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال

يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى له
واصبر على ما اصابك الاية وقال وليعفوا وليصفحوا
الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله
وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى
الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد القاضي
وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا
مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما
كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى
فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت
وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال

رب

رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله عنه انظر ما في هذا
القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان
وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم
حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل
فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه
ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له
غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله
عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وجده قائلا والناس
قائلون في غزوة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال
من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء

الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح
من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره
وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه
فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله
بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل
عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار
بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية
البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي
على بعيري هذين من مال الله الذي عندك
فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله
وانا عبده ثم قال عليه السلام ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك
لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله
عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الاخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة

من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا
ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما
ولا امراة قط وجيء اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط
علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجذب ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع
ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه
وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر
تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر بقضيه
ماله ويزيده عشرين صاعا روعه فكان
سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي
من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد
الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل عليه الا حلما فاختبره بهذا فوجده
كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام
وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ياتي
عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره

على قساوة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة
الشدائد الصعبة منهم الى ان اظفره الله عليهم
وحكمه فيهم وهم يتمكنون في استئصال اسلافهم
وأباده خضرائهم فازاد على ان عفا وصفح وقال
ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انتم هؤلاء ثم انزل رجلا من الشيخ صدرة
الضبي يقتلونه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا فاعتصم صلى الله عليه وسلم فانزل الله
تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية وقال
لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان طلب اليه
الى حرب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه
ولو طيفة في القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن
ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي
ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضا صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود
والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة
وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعل الكرم البذل
بطيب النفس فيما يعظم خطره وتقعه وسخاوة
ايضا غريزة وهو ضد البخل والسماحة
التجافي عما يسخط المرء عند غيره بطيب نفس

وهو

وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانقياد
ويجتنب الكتاب ما لو يحمد عليه وهو الجود وهو
ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لو توارى
في هذه الخصوص الكريمة ولو يتأرى بهذا وصفه
كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي
ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد
السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا ثنا ابو عبد الله
الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان
عن المنكدر سمع جابر بن عبد الله يقول ما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال
لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس
كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه
جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة
وعن انس ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين
جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد
مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة
وهذه كانت حالة ابي خلقه صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبعث وقد قال له وكرمك اتك
تحمل الكل وتكسب المعدوم وترضي هو ان ترزق
وكانوا سألته الوف واعطى العباس من الذهب

ابو البحتري الذي جمع الجود على الاطلاق

في النصيحة في الانفاق والامساك
وهو مقتضى الاسراف في الانفاق
والتقاعد اتجاه الاعتدال بين
البخل والاسراف فالتطرف تجد
الانصاف والاناة خلق وجه
الاعتناء هذا ولم يظهر
معدول المصنف عنه اشتر المرتبة
الكلمة فيه اركبت على الاصل

بصيغة المفعول فيهما وهما
تأريته فارتبته واجاز بعضهم
وارتبته اي لا يقاوم ولا يقابل
والتقابل به احد على الاطلاق
بصيغة المجهول وهو بالياء والموحدة
والراء اي لا يبارض وهذه الشمائل
الحميدة والفضائل السديدة
غيرها من الاحوال السعيدة
كما استأثر اليه هذه النبيئة في
العبودية وفاق النبيئة في
خلق وفي خلقة ولم يدانوه فيعلم
ولا لحم على الطارئ
الكبد ان اتوا حاجة على الله
الحاجة لكل نفس بشرت
طبعا وتوكله عليه وقد به

بفتح الكاف وتشديد اللام
اي الشغل من العيال والتعليم
وهي لا قدرة لاحد منهن الحاد
في التنزيل وهو كل مؤونة
الا الصنيع والمؤونة صنيع في
الصنعة

ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد
سائلا حتى فرغ منه وجاءه رجل فسأله فقال
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه
فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل
من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت
ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب
يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني
ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله
عليه وسلم وكرمه كثير وعن ابي هريرة قال اتى
رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه
قضاء ونصفه نائل اي عطاء **فصل واما الشجاعة**
والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند
استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون
خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي

لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل
لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له
فرة وحفظت عنه جولة سواه **حدثنا**
ابو علي الحياني فيما كتب لي ثنا القاضي سراج
ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار
ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء
وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته
البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره
انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان
اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما
التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض
بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة
الا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى
للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا غضب ولو يبغض الا لله لم يقم
لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد

ولو اجود ولو ارضى من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقول على رضى الله عنه انا كنا اذا حمى البأس
ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد منا
الى العدو منه ولقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ
بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع
هو الذى يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا
العدو لقربه منه وعن انس قال كان النبى صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واجود الناس وانجد الناس
لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد
سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابى
طلحة عرى وفى عنقه السيف وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقى صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابى بن خلف
يوم احد وهو يقول ابن محمد لا نجوت ان نجا وقد
يقول للنبى صلى الله عليه وسلم حين افتدى
يوم بدر عندى فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة
اقتلك عليها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
بل انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد
ابى على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى صلى الله

عليه وسلم هكذا اى خلوا طريقه وتناول الحربة
من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايرت عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا
انتفض ثم استقبله النبى صلى الله عليه وسلم
فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
وقيل لم يكثر ضلعا من اضلاعه ورجع الى قومه
وهو يقول قتلنى محمد فقالوا والله لو اصابك
فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم اليس
قد قال انا اقتلك والله لو بصق على لقتلنى
فمات بسرف وهو منصرفهم الى مكة
والاوعضاء فاجاءه رقة تعترى الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون كراهة
من فعله والاوعضاء التعفف
بطبيعته وكان النبى صلى الله عليه
الناس جاءا واكرمهم عن العورات اعفاهم
قال الله سجاءا ان ذلكم كان يوذى النبى
فيستحيى منكم الاوبه حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتى عليه ثنا ابو القسم خاتم بن محمد ثنا ابو
القاسم البغوى ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله ابنا شعبة
عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابى سعيد
الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشد الناس حياء من العذراء فى خدرها

وكان اذا كره شيأ عرفناه في وجهه وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لونه
احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عايشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد
ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى
عنه ولو يسمي فاعله وروي انه دخل عليه
رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيأ وكان لو واجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له فيغسل هذا
وبروى بنزعها قالت عايشة في الصحيح لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح وقد حسن مثل هذا الكلام عن التوراة من
رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص
وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه
احد وانه كان يكني عما اصطره الكلام اليه مما يكره
وعن عايشة قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وانه
وبسط خلقه مع اصناف الخلق فحيث اشتهرت
الوخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه
عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق
الناس لهجة وابنهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مسرور الوغاني فيما اجازه لنا

وقرانه على غيره قال انبا ابو اسحق الحربي قال ثنا ابو محمد
بن النحاس ثنا ابن الوعراني ثنا ابو داود ثنا هشام
وابو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا
الوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول احدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن
سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قصة في خرها فلما اراد الوضوء قرب له
سعد حمارا فركبه عليه بقطيفة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فابيت فقال
اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرف وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوانسهم ويمازحهم
ويكرم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه ينفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار له
قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه
وقال تعالى ربنا راعية ظله لتستريح ولو كنت

غليظ القلب لو نفضوا من حولك وقال ادفع
بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل
الهدية ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته
الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم
وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلاعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون
الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام
ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه
بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني
اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع

على احد

على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام
ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه
احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن
حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث
ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس قال كان خدم المدينة
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بانيتهم فيها الماء فما يوتى بانية الا غمس
يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك **فصل واما الشفقة
والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى**
فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك
حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني
بقراتي عليه ثنا امام الحرمين ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر
انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة ذكر
حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان
صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى
وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه
لاحب الخلق الى وروى ان اعرابيا جاء يطلب
منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك
قال الاعرابى لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل
منزله وارسل اليه صلى الله عليه وسلم وزاده
شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم انك قلت ما قلت وفى نفس اصحابى
من ذلك شئ فان احببت فقل بين يديهم ما قلت
بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد او العشى جاء فقال
صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال
فزدناه وزعم انه رضى اكذلك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه
وسلم مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى ارفق بها

منكم

منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من
قمام الارض فرفدها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واتى لورتكم
حيث قال الرجل ما قال فقلتموه ودخل النار
وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغنى
احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب
ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم
وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله
لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخير صلوة الليل ونهيهم عن الوصال
وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته
ورغبته لربه ان يجعل سبته ولعنته لهم رحمة بهم
وانه كان يسمع بكاء الصبى فيخفف فى صلوته
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه
وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل
ذلك له زكاة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه
اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع
قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك
الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبى صلى الله عليه

بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر
ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال
ان تطيعك فقال اخبر عني امتي لعل الله ان يرحمهم
عليهم قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال
ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن
عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
ترده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله
عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم
حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي
عليه ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو السحق الخال
ثنا ابو محمد بن الخاص ثنا ابن الوعراني ثنا ابو داود
ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن
طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن
سفيان عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم بيعا قبل
ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي

انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت
صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن
عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على
خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح
الشاة فيهديها الى خلايلها واستأذنت عليه
اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه
من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله
عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء غير
ان لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام
بامامة ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد
وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال وفد
وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم
يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لاصحابنا مكرمين واني لحب ان اكافيهم
ولما جاءه خمس من الرضاعة النساء وفي نسخة
هوازن وقعوقت له بسط لها رداءه وقال ان
ان احببت اقمت عندي مكرمة محبة او ارتحلت
ورجعت الى قومك فاخارت قومها فمتعها

وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا غلام اذا قبلت امراة حتى دنت منه بسطها
رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي
ارضعته وعن عمرو بن الشريد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه
ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه
من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه
بين يديه وفي حديث حديجة رضي الله عنها انها
قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله
لو تخرج بك ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين
على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله
عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك
انه خير بين ان يكون نبيا عبدا فقال لاسرافيل
عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له
انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق
الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد
العواد الفقيه بقراءتي عليه في منزله بقرطبة
سنه سبع وخمس مائة ثنا ابو علي الحافظ
ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا

ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله
بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن حنش عن ابي امامة قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا
على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما
ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب
الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه
مختلطا بهم حتى ما انتهى به المجلس جلس وفي
حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني
كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها
شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال
اجلسي اي ام فلان في اي طرق المدينة شئت
اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست
فجلس اليها صلى الله عليه وسلم حتى قضت
من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد
وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل
من ليف عليه اكاف وكان يدعى الى خبز الشعير
والوهالة المسمحة فيجيب قال ومر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رجل رث وعليه قطيفة

ما يساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعل
حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض
واهدى في حجة ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله
راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت
ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال
للذي قال له يا خير البرية قال ذلك ابراهيم وسياتي
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله
وعن عائشة والحسن وابي سعيد الخدري وغيرهم
في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة
اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف
نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير
ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن انس قال ان كانت
الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من
هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك
انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة
قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم

فاشترى

فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح
وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله
عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم
ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب
الشيء احق بشيئه ان يحمله **فصل واما عدله**
صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته
وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن
الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم
لهجة منذ كان ثم اعترف له بذلك محادوه وعداه
وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق
كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق
الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين
على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلف
قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع
الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله
عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
بن خثيم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء وامين
في الارض **حدثنا** ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل ابن خيرون ثنا

اي حكم على وفق الحق ومنها في الصدق على العارف
اي في اداء روايته وقضاء ديانته على العارف
اي فيما لا يليق بحضرته على العارف
لان اعلمهم واحكمهم وارحمهم وكان الاظهر ان
يقدم اعدل على امن ليكون النشر مرتبا على العارف
اي اكثر عفة واصبرهم على ما يوجب نزاهته
اي من ابتداء ما وجد لما جبل عليه من الاخلاق
الحسنة ولا وجه لقول الدلجي من حين اعترف
لان قوله اعترف استيناف على العارف
استيناف بيان وفي نسخة ثم اعرف له
بذلك اي بما ذكر من الشمائل الرضية
بتشديد الدال المضمومة اعداؤه على العارف
اي مخالفوه وفيه قوله ومن يحادد الله
لكون كل واحد منهما في حد كما قيل في اشتقاق
قوله ومن يشاقق الله على العارف
بكسر عينه مقصورا اسم جمع اي اعداؤه
ومعادوه على العارف
اي ظهورها ودعوتها على العارف
لغاية امانته ونهاية ديانته قال ابن
اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة اي لان يتعمل
في طريق الحق وسبيل الخلق على العارف

50

ابو يعلى ابن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام عن سفين
عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك
وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس ابن
شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم
ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فخبرني عن
محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا
لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه
ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم
ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه
ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها و
في حديث علي في وصفه عليه السلام اصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم
اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت
عايشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم

في امرين

في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان
اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد
قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله
عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزا لله وجزا
لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس
فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول
ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ
حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع
الاكبر وعن الحسن قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ياخذ احدا بقذف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي
رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء
مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة
فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى
جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب الله

على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني اي غشيني مرة اخرى مثل
ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء **فصل واما وقاره**
صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ
اجازة وعارضت بكتابه ثنا ابو العباس الدلائي
ثنا ابو ذر الهروي انا ابو عبد الله الوراق
ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن بن
سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز بن وهب قال سمعت خارجة
ابن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر
الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه
وروى ابو سعيد الخدري قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع صلى الله عليه
وسلم وربما جلس المقرفصا وهو في حديث قيلة
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم توقيرا واقتداء به فجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه

كانما

كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفيا
ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث
الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه
غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
عبد الله قال كان في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة
كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير
والتفكير قالت عائشة كان صلى الله عليه
وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض
عليها ويقول حبب الي من دنياكم النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن
النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل
مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم
والرواجب واستعمال خصال الفطرة
فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار
في اثار هذه السيرة ما يكفي وحسبك
من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سبقت
اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي

صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعوا ويقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص
والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله
التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس
الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا
ابو معوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن
عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى سبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية
اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سلاحه
وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة
ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي
ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه
فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع

فاحمدك

فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل
نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام
ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال
ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عايشة قالت ان كنا آل محمد
لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر
والماء وعن عبد الرحمن بن عوف قال مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع
هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة
وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس
كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي
المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس
قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان قط ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق
ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة قالت
انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة قالت كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين
فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح
قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال

استفهام انكاري او استعلام

ردّوه بجاله فان وطأته منعتني الليلة
صلاتي وكان ينام اجاناً على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً
قط ولم يجئ شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعاً
يلتوي طول ليلته من الجوع فما يمنعه صيام
يومه ولو شاء لاتى بها جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما اراه
وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول
نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوّيك
فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من
اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم
وما من شيء هو احب الي من اللحوق وباخواني
واخلائي قالت فما اقام بعد لا شهراً حتى توفي
صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربّه
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه
بربّه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب
قراءة مني عليه ثنا ابو القاسم الصيني ثنا
ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله

العزيزي

الفربري ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد
بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيراً قال فما اتى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم
اشد منه فغطى اصحابه رؤوسهم ولهم خنين
فقيل له يا رسول الله ما لك قال اخبرت ان الجنة
حرمت على الانبياء حتى ادخلها انا وحرمت على
الامم حتى تدخلها امتي فبينا انا في ذلك اذ رأيت
موسى آخذا بقائمة من قوائم العرش فلم اعرف
فيما عرفت منه حاله عند خروجه من طور سيناء
وقبل ان يلقى الالواح او بعد ان القاها فرفع
رأسه فاذا انا بربي عز وجل قد اقبل في كبكبة
من نور فلما رآه موسى خر صعقا فلما افاق
قال سبحانك تبت اليك انا اول المؤمنين
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين
قال يا رب ارفعني الى ذراك اراك مالوترون واسمع
ما لو تسمعون فاطت السماء وحق لها ان تطت
ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيراً وما لذذتم بالنساء على الفرش الصقال
تجأرون الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي
هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول
ابي ذر نفسه وهو صحيح وفي الحديث المغيرة
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي
رواية كان يصلي حتى يرم قدماه فقيل له تكلف
هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال افلا اكون عبداً شكوراً ونحوه عن اسلمة
وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان
يطيق وقالت عايشة كان يصوم حتى نقول
لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ومعنى
عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال وقالت
كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته

بضمتين جمع جعد جمع جعيدة اي الطرفاء
بالبصيغة المجهول اي تقطع على القاعدة
اي موقوفا عليه من غير فوعه على القاعدة
اي الاسناده الموقوف على القاعدة
اي الاسناده المرفوع على القاعدة

مصلياً ولو نائماً الرواية نائماً وقال عوف
بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه
فبدأ فاستفتح البقرة فلو مر بآية رحمة الوقف
فسأل ولو مر بآية عذاب الوقف فتعوذ ثم
مكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت
والملكوت والكبرياء ثم سجد وقال مثل ذلك
ثم قرأ آل عمران ثم سورة يفعل مثل ذلك وعن
حذيفة مثله وقال سجد نحواً من قيامه وجلس
بين السجدتين نحواً منه وقال حتى قرأ البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قالت
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية
من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير قال
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الحزن دائم الفكر ليست له راحة وقال
عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل
أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي
وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن لي

والعلم

والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي
حديث آخر ونزهة فؤادي في ذكره وعمي
لوجل امتي وشوقي الى ربي وفصل اعلم
وفقنا الله وإياك ان صفات جميع الانبياء
والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات
الكمال والكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم اشرف
الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن
فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد آثرنا هم على علم على العالمين وقد قال
عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة
على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه
السلام طوله ستون ذراعاً في السماء وفي حديث
ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل ضرب رجل
افتى كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى
فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر

كانما خرج من دماس وفي حديث آخر مبطن
مثل السنيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم وقال
في حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت
راءٍ من آدم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله تعالى
من بعد لوط نبيا الا وفي ذروة من قومه ويروى
في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتيبة
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس قال
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم
ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى
ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران الى العالمين
وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه
وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا

مايرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال
تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال
في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال
ان خير من استاجرت القوي الامين وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله
فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصدع
والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال
فبشرناه بغلام حليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم
فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال
في اسمعيل انه كان صادق الوعد الآيتين
وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد
انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه
واتيناه الحكم وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا وقال
شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال
ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا

56

يسارعون في الخيرات الوية قال سفيان
هو الحزن الدائم في أي كثيبة وذكر فيها من
خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله اخبرنا الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث
انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وروي ان سليمان كان مما اعطي من الملك لو برفع
بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم
الناس لذا ابذا لوطعمة وتاكل خبز الشعير واوحى الله
اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكان
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر
الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف
ما للذين يجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف
ان اشبع فانسى الجايع وروى ابوهريرة عنه
عليه السلام قال اخفف على داود القران فكان
يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا يا
كل من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد
ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سائل
ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله
وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة
داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه

ويصوم

ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس
الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ترض
بعد الخطيئة ولو ساخصا ببصره الى السما
حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى
حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت
حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له
بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسما
اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه
السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى حمرة
البقل في بطنه من الهزال وقال التقي عليه السلام
لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال
عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام
فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى
العشب وكان يبكي من خشية الله حتى تخذ
الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب

37

ان موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع
الدابة تواضعاً لله بما اكرمه الله به من كلامه
واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكلام
وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت
الى ما نجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا **فصل قال المؤلف رحمه الله**
قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا
من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا
الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الادلاء وبحر علم خصايصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف
مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض
ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن
عن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيراً
وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله **حدثنا**
القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا الامام

ابو القاسم

ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه
اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي
الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انا ابو القاسم
علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي انا ابو سعيد
الهيثم بن كليب الشاشي انا ابو عيسى محمد بن
عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفيان بن وكيع
ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء
من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد
ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله
عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن
الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي
ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذ الكرخي الباقلاني
قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الحفص احمد بن
الحسن بن خيرون قالوا انا ابو علي الحسن
بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به
انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي
بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي

حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد
بن عليّ الحسين بن ابي طالب حدثني علي بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر
عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن
الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا
السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية
رسول الله صلى عليه وسلم وكان وصافاً وانا
ارجو ان يصف لي منها شيئاً انعلق به قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخماً
يتلوء وجهه تلوء القمر ليلة البدر اطول
من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقة فرق والا فلا
يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفّره ازهر اللون
واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين
له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم مفلج
الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكاً سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور
المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى

ذلك

ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح
القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعاً
ويخطو تكفؤاً ويمشي هوناً ذريع المشية
اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت
التفت جميعاً خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع
الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير دمثاً
ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت
لا يذم شيئاً لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا يقوم
لغضبه اذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها
فضرب بباطن راحته اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه
التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن

فكتمها الحسين بن علي زمانا ثم حدثه فوجدته
قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيأ قال الحسين سألت ابي عليه السلام
عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان
اذا اوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء
جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيأ فكان من سيرته في جزء الامة
ايثار اهل الفضل باذنه فقسمه على قدر فضلهم
في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما
اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم وبالذي
ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب
وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها
ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين
بن وكيع يدخلون رواداً ولا يتفرقون الا عن
ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني
عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه

الا مما يعنيهم

الا ما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم
كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم
منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة قال فسألته عن
مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله عليه وسلم
فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث
ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه
نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم
عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم اباً وصاروا
عنده في الحق متفاضلين فيه
بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر

وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون
ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته
صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عتاب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك
نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما لا يعنيه
وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا
يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون
منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب
على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة
يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفين بن
وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على
اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له
الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان
لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع
اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه
واجتهاد الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما
جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف
بحمد الله وعونه **فصل في تفسير غريب هذا الحديث
ومشكله** قوله المشذب اي البائن الطول
في مخافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس
بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه
مشط فتكسر قليلا وليس بسبط ولا جعد
والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات
نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى
عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر
حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها
وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض
الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع
البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث
الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب
الازج المقوس الطويل الوافر الشعر

والوقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم
الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد
وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة
وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين
وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع
والشنب رونق الاسنان وماوها وقيل
رقتها وتحزيزها كما يوجد في اسنان الشباب
والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط
الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم
ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي
مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة
فيكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح انه
كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو
تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر
اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن
ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى
عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن
دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله
في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد

رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن
الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما
الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع
وذكر ابن الانباري انه روى سائل الاطراف
او قال ساين بالنون قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على
الرواية الاخرى وساير الاطراف فاشارة الى
فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن
سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين
اي متجا[illegible] في اخمص القدم وهو الموضع الذي
لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين
اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث
ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه
وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى
قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن
مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليها
وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع
رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي
وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطوة اي ان مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشيه
المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق

عن ابي هريرة وابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه قال ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا

وتثبت دون عجلة كما قال فكانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرون بسوء ولا تثنى فلتاته اي يتحدث بها اي لم يكن له فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكاف قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكاف على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه عليه السلام منهوس العقب اي

قليل

قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم

لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني ثنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها قال ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا وذلك

قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون
السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى
ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل
بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك
النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن واثلة
بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد
اسمعيل بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم
ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه
السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض
ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب
افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه
فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه عليه
السلام لما خلق الله ادم عليه السلام اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة

وقذف بي

وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل
ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة
حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب فيه بقوله
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر
وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال
اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة
فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية
اخرى وعرض على امتي فلم يخف على التابع من المتبوع
وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود
العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهو السود
والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر

الوحش والسودان الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة
نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم
اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر
انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرطكم وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد
اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف
عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي
اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر قال لبعثت بين يدي
الساعة ومند رواية ابن وهب انه عليه السلام
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف
السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك
وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد
من الناس قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك

وفي حديث

وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربي
اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا
مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا يجوع امتي ولا تغلب واعطاني
النصر والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا
مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تبعا
يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء المعجزة
ما بقيت الدنيا وسار معجزات الانبياء ذهبت
للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجز القرآن
يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذا ضنه وقد بسطنا القول
فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا في غير هذا المجموع
وعن علي رضي الله عنه كان نبي اعطي سبعة نجباء
من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر
نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة

من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك دعوة ابى ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله
فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على اهل السماء
وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله
على اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن
يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحاً
مبيناً قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقال
لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن
معدان ان نفراً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
وقد روى نحوه عن ابى ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابى ابراهيم
يعنى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى
عيسى ورأت امى حين حملت بى انه خرج منها
نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا انا مع
اخ لى خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءنى رجلان
عليهما ثياب بيض وفى حديث اخر ثلثة رجال
بطشت من ذهب مملوة ثلجا فاخذانى فشقا بطنى

قال فى غير هذا

قال وفى غير هذا الحديث من تحرى الصدق بطنى
ثم استخرجا منه قلبى فشقاه فاستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج
حتى انقياه قال وفى حديث اخر فنا ولا احدهما شيئاً
فاذا بخاتم فى يده من نور يبهر الناظر دونه فختم به
قلبى فامتلأ ايماناً وحكمة ثم اعاده مكانه وامر اصبعه
يده على موضع صدرى فالتأم وفى رواية اخرى جبريل
قال قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران
واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة
من امته فوزننى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته
فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته
بامته لوزنها قال فى الحديث الاخر ثم حشى فى الى
صدورهم وقلوبهم وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب
لم نرع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك
وفى بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله
ان الله معك وملوكه قال فى حديث ابى ذر
فما هو الا ان ولانى عنى فكأنما ارى الامر معاينة
وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما
ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى
خطيئتى وروى تقبل توبتى فقال له الله تعالى
من اين عرفت محمداً قال رايت فى كل موضع من الجنة
مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله وروى

محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله وتاويل
قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وفي
رواية اخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي
الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه آخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر
وروى عن شريح بن يونس انه قال ان الله ملائكة
سياحين عيادتها على كل دار فيها احمد او محمد
اكرما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع
القاضي عن ابي الحمراء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اسري بي الى السماء الدنيا اذا على العرش
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايده بعلي
وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا
محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس قال على
باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا
محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه

وجد

وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد
على احد جبينه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر
محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند
وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيمة نادا مناد الا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى
ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن
مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه
فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه السلام
ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة
وعن عبد الله بن مسعود قال ان الله نظر الى قلوب
العباد فاختار قلب محمد عليه السلام فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان
ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي
على نسائكم تفضيلا الحديث **فصل في تفضيله
بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجات**
والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى

سدرة المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى
ومن خصايصه عليه السلام قصة الاسراء
وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين
في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران
وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص نبينا
محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة
راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله
التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس
العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد
الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي
يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه
ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء

من لبن

من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة ثم عرج بي الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي
شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام
فرحب بي ودعا لي بخير قال الله ورفعناه مكانا
عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا
انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال

قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت
فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها فاوحى الله الى ما اوحى ففرض على خمسين
صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت
حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر
فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت
سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال
القاضي رحمه الله جود ثابت هذا الحديث عن انس
ما شاء ولم يثبت احد عنه ثابت ما صح من هذا وقد خلطا
فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية

شريك

شريك بن ابي نمر فقد ذكر في رواته مجيء الملك له
وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان
وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الوسيلة
والوضوء انها كانت بعد الوحي وقد قال غيره
انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد
روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا
مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الوسيلة كما رواه
الناس مجودا في القصتين وفي ان الوسيلة الى
بيت المقدس والى سدرة المنتهى كانت قصة
واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج
من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج
صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطشت
من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن
انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير
وزيادة ونقص وخلوف في ترتيب الانبياء

في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود
وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها
نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث بن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ
الصالح الوادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح
وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم انطلق بي
حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري
ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن
صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته
الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة
وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة
فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار
فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث
ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك
قال هذا محمد رسول الله وخاتم النبيين قالوا
وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ
وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم
وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر

كلام النبي

كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا
صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى
على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا
وانزل الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي
خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي
هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري
ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد
ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
وانتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق
الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد من امتك خلى على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من
ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين
عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور

وغشيتها الملوكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة
ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت
ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد
وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت
عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذك
خليلا وحبيبا وهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك اول الامم
وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس
واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى
الا بتين راى جبريل في صورته له ستمائة جناح
وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال
بتفضيل كلام الله قال ثم علي به فوق ذلك مما لا يعلمه

[1] تبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك

الا الله

الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع احد علي
وقد روى عن انس رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبياء ببيت المقدس [2] وذكر البزار عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى
ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة
يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه
فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم
على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتيا
الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فينا هو كذلك
اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك
بالحق اني لاوقر الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال له الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان
لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان
الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة
حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه
فامر اهل السماء فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راوية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه
وسلم الشرف على اهل السموات والارض
قال القاضي رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر

[2] من انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الانبياء فدخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر غوت امتك ثم عرج بي الى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على ادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على يحيى وعيسى فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على يوسف فاذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بنا ودعا لنا بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على ادريس فرحب بنا ودعا لنا بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على هارون فرحب بنا ودعا لنا بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على موسى فرحب بنا ودعا لنا بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فاتينا على ابراهيم فرحب بنا ودعا لنا بخير ثم عرج بنا الى سدرة المنتهى فغشيها من امر الله ما غشي فتغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الى ما اوحى فاوحى الله الي خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم هبطت حتى انتهيت الى موسى فاحتبسني فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قلت عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك وانا قد بلوت بني اسرائيل واختبرتهم ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع شطرها فرجعت اليه فقلت وضع شطرها فقال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع شطرها فرجعت اليه فقلت وضع شطرها فقال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فقال هي خمس صلوات كل يوم وليلة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييته وفي رواية فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييته ولكني ارضى واسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي

الحجاب فهو فى حق المخلوق لو فى حق الخالق
فهم المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه
اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه
على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بحسب
وكيف شاء ومتى شاء كقولهم كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ففى قوله فى هذا الحديث الحجاب
النار خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب
يحجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على
ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته
وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل
عن الملك الذى خرج من وراء ان هذا الملك
ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل ان هذا
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب
فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم المخلوقين
وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم وانما
الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى
عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادئ
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى
واسئل القرية اى اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب
صدقا انا اكبر فظاهره انه سمع فى هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
اى وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول

بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه
فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى رآه والله اعلم **فصل ثم اختلف**
السلف والعلماء هل كان الاسراء بروحه او بجسده
على ثبوت مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام بما اتفاقهم ان رؤيا الانبياء
حق ووحى والى هذا ذهب معاوية وحكى على الحسن
والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى ريناك
الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
جئنا انا نائم وقول انس وهو نائم فى المسجد الحرام
وذكر القصة ثم قال فى آخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو المنقول
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابى هريرة
ومالك بن صعصعة وابو حبة البدرى وابن
مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن
وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج
وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبرى
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو
قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين

والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء
بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس
والى السماء بالروح والحجة بقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعله الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع
التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بشريف النبي
صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء
اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم
اختلف هذه الفرقة هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته
فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زال
عن ظهر البراق حتى رجع قال القاضي
رحمه الله عليه والذي من هذا والصحيح ان شاء الله
انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة
اذ لو كان مناما لما قال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد ضعفاء من اسلم وافتتنوا به
اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك

منهم لو وقد علموا أن خبره انما كان عن جسمه
وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته
بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء
على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق و
خبر المعراج واستفتاح السماء فيقال من معك
فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه
وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته
فيها موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فانه
يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل
الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا
عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا
منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا
فعدت لمضجعي وذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فقمت الى باب المسجد فاذا بدابة
وذكر خبر البراق وعن ام هانئ ما اسرى بنبي
برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا
فلما كان قبيل الفجر هبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ
لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رأيت

73

بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الون كما ترون وهذا بين
فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن اوس
عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى
طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك
فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت
ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة
فاذا بملك قائم معه آنية تلوث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم
فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبريل فشرح
صدرى ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة
ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال اتيت فانطلق بى الى زمزم
فشرح عن صدرى وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى
عن مسراى فسالتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لى انظر اليه
ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب فى حديث
الوسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل
فى ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى

وما جعلنا

وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس
فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذى اسرى
بعبده يرده لو قيل فى النوم اسرى وقوله
فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص
اذ ليس فى الحلم فتنة ولو كذب به احد لوقت
كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون
فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان
المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب
بعضهم الى انها نزلت فى قصة الحديبية ومنامه
فى نفوس الناس من ذلك وقبل غير هذا واما
قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله
فى حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة
فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه
كان وهو نائم او اول حمله والوسراء به وهو
نائم وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة
كلها الا ويدل عليه ثم استيقظت وانا
بالمسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله حينئذ
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان
فى بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد
الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت
السموات والارض وخاطر باطنه من مشاهدة

الملأ الاعلى وما راى من آيات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو
بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو
من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء
ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه
رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة
النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد ابن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال
في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين
النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم
لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم
الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن
ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي
من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق
البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره
عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث
قبل ان يبعث والاسراء كان باجماع بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا
قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه

مضطجع وفي رواية هدبة عنه صلى الله عليه وسلم بينا انا في الحطيم وربما قال

لم يسمعه

لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة
كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة ما فقد
جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها
لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان
فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت
عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقيل كان
الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة دل على انها
حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر
غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني
حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روي في حديث عايشة ما فقدت جسده
ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم وكل هذا
يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت
عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى

ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه
للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي او مشاهدة
عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الوهم الى البصر وقد قال اهل السنة
في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما رأته عينه فصل واما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف
فيها فانكرته عايشة رضي الله عنها حدثنا
ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقرائتي عليه
قال حدثني ابو الحسن وابو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود
بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن
مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين هل رأى
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت
من ثلث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه
فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر
الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انما رأى
جبريل واختلف عنه وقال باكثار هذا وانما
رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء

والمتكلمين

والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه بعينه وروى
عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه
بفواده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى
ابن عباس يسأله هل راى محمد ربه فقال نعم فاتاه
عنه انه راى ربه بعينه روى ذلك عنه من
طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد راه
نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى
قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرأى محمد
مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى
عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس انا نحن بنو هاشم نقول ان محمدا
قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبه الجبال
وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك
عن ابي ذر في تفسير الاية قال رأى النبي صلى الله
عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب
القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي
ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي

وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى
الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكا بعض المتكلمين هذا المذهب عن
ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سال ابا هريرة
هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن
حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه قد
راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر
قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول
برؤيته في الدنيا بابصار وقال سعيد بن جبير
لو اقول راه ولم يره وقد اختلف في تاويل الرؤية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكى عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد
بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله
الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن
اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه
انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل اية
اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي
مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من جنسهم
بتفصيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون

قال القاضي

قال القاضي ابو الفضل المصنف رضي الله عنه
والحق الذي لا مرية فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا
جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام
ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز
عليه بل لم يسال الا وجائز غير مستحيل ولكن وقوعه
ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله
فقال له الله لن تراني اي لن تطيق ولو تحتمل رؤيتي
ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى
واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها وانما منعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولو حجة لمن استدل
على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال
في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه
الاية لنفيها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس
وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون
وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني
الاية وقوله ثبت اليك لما قدمناه ولانها

ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل وايضاً فليس فيه نص الامتناع
وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل
وقوله ثبت اليك اي من سوالي ما لم تقدره لي وقد قال
ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر
ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات
وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه
ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات
والفناء فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم
انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد
رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة
ورزقوا ابصاراً باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا
من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى
من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية
لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الالهية
منحهما لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه
والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته

عن الايتين

عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام
راى الله فلذلك خر صعقاً وان الجبل راى ربه
فصار دكاً بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك
والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكاً وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له
حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله
بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقاً بلا آفة
وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له
اذ جعله دليلا على الجواز ولو مرية في الجواز اذ ليس
في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله
عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فليس فيه
قاطع ايضاً ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم
والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف
محتمل مشكل فروى نوراني اراه وحكى بعض شيوخنا

انه روى نورانى اراه وفى حديثه الاخر سالته
فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحدة
منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه
وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نورانى
اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى للبصر
وهذا مثل ما فى الحديث الاخر حجابه النور وفى الحديث
الاخر لم اره بعينى ولكن رايته بقلبى مرتين وتلى
ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك
الذى فى البصر فى القلب او كيف شاء لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد ووجب
المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى
يرده والله الموفق تعالى **فصل واما ما ورد
فى هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه**
بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله
الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق
قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى
والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه
فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن
مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش
عن ابن عباس فى قصة الاسراء عنه عليه السلام

فى قوله

فى قوله دنا فتدلى قال فارقنى جبريل فانقطعت
الاصوات عنى فسمعت كلام ربى وهو يقول
ليهنأ روعك يا محمد ادن ادن وفى حديث انس
فى الاسراء نحو منه وقد احتجوا فى هذا بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فقالوا
هى ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا
ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع
المشاهدة وقد قيل الوحى هنا هو ما يلقيه فى قلب
النبى دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن على
فى حديث الاسراء ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله
عليه وسلم لكلام الله من الاية فذكر فيه فقال
الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب
صدق عبدى انا اكبر انا اكبر وقال فى سائر كلمات
الاذان مثل ذلك ويجئ الكلام فى مشكل هذين
الحديثين فى الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفى
اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم ومن اختصه من الانبياء عليهم السلام
جائز غير ممتنع عقلا ولو ورد فى الشرع قاطع
يمنعه فان صح فى ذلك خبر احتمل عليه وكلامه
تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به

نصّ ذلك في الكتاب واكدّه بالمصدر دلولة
على الحقيقه ورفع مكانه على ما ورد في الحديث
في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدًا
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف
الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع
الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل
بعضهم فوق بعض درجات **فصل واما ما ورد
في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو**
والقرب من قوله دنا فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام
او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب عز وجل دنا من محمد فتدلى
اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن
قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته
وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني
جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي

وعن انس

وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزت فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث
الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه
فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه
ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن
الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى
بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب **قال القاضي ابو الفضل** رحمه الله
عليه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب
هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولو قرب
مدًا كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد
وانما دنو النبي من ربه وقربه منه بانه عظيم
منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته
ومشاهدته اسرار غيبه وقدرته ومن الله له
مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه
ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد
الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطي ومن توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة

بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعداً يعني
عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائداً الى الله
تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار
التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول
فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبراً تقربت
منه ذراعاً ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب
بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول

فصل في ذكر تفضيله عليه السلام في القيمة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي
ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا
السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين
بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث
عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا وانا
قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا

شفيعهم

شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا
لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي
ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ
مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم
ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي
يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا
اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة
عنه عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة
واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول
مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلها
معي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس
يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعاً وعن انس
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين
والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة
انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء
اجراً يوم القيمة وفي حديث اخر ما ترضون ان تكون

ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي
يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة
بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني
وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس
يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة
دون غيره اذ لجاء الناس اليه في ذلك فلم يجدوا
سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في
حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر
لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له
تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت
دعوى المدعي لذلك في الدنيا وكذلك لجاء
الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة
فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة
يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء
وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك
كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا

وعن ابي ذر

وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان
الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن
ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر
من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين
المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة
وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب
الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن
ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن
الخطاب وابن بريدة وابو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء
وجندب وعايشة واسماء بنتا ابي بكر
وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل
في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة
والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص
على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة
بنت احمد بن محمد قالت ثنا ابو الهيثم وثنا
ابو حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي
ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا الهيثم ثنا ابو عبد الله

محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله
بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن
سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر وفي حديث اخر ان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه
خليلا وقال اخر ما اذا بعجب من كلوم موسى
كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك
وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله
ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من
قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

ان اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة
انت محمد حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى
الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له احد
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد
وقال بعضهم اصل الخلة الوستصفاء وسمي
ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه
وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده
وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع
ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم
لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمته
ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو
في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة
فقال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك
الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة
ومعناها الوسعاف والالطاف والترفيع
والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه بقوله تعالى
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب لهم
ان لو تواخذ بذنوبه قال لهذا والخلة اقوى
من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة

كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
ولو يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا نسبة
ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن
دونه والاعراض عن الوسايط والاسباب والزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما
وما خا لل بواطنهما من اسرار الوهية ومكنون
غيوبيته ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفا
قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو
عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة
درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء
فلو يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم
بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا
غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وعليها
السلام وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم
جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل
ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب

ولكن

ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالموفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب
عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته
فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا
سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص
الحركات لله كما قالت عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن يرضاه ويسخطه لسخطه
ومن هذا عبر بعضهم الخلة بقوله شعر
قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ٭ واذا ما سكت كنت الغليلا
فاذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا
عليه السلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى
بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه ربا كما
اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم

بفتح الباء المهملة والنون بعدها ياء مثناة تحت ساكنة

ورغماً على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفاً بامرهم بطاعته وقرنها
بطاعته ثم توعدهم على التولى عنه بقوله
فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
كلاماً فى الفرق بين المحبة والخلة بطول جملة
اشار انا الى تفضيل مقام المحبة على الخلة
ونحن نذكره طرفاً يهدى الى ما بعده فمن ذلك
قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب
يصل اليه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى
وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع
من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب
الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك الله
ما تقدم الاية والخليل قال ولا تخزنى والحبيب
قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة
قيل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله
والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل
قال واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل له
ورفعنا لك ذكرك اعطى بسؤال والخليل
قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب
قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال

من تفضيل

من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل
على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل فى تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاماً
محموداً اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى
الجيانى فيما كتب به الى بخطه ثنا سراج بن
عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الوصيلى ثنا ابو زيد
وابو احمد قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسمعيل ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص
عن ادم بن على قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس
يصيرون يوم القيمة جثاً كل امة تتبع نبيها
يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهى الشفاعة الى النبى محمد صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود
وعن ابى هريرة قال سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعنى قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاماً محموداً فقال هى الشفاعة وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس
يوم القيمة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى
ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله
ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشى حتى يأخذ
بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود

الذى وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لو يقومه
غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه
عن كعب والحسن وفى رواية هو المقام الذى
اشفع لامتى فيه وعن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله
تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابى موسى
عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف
امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين
الخطائين وعن ابى هريرة قلت يا رسول الله
ما اول ورد عليك فى الشفاعة فقال شفاعتى
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه
قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارايت ما تلقى امتى من بعدى
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله
ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتينى
شفاعة يوم القيمة وقال حذيفة يجمع الله
الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله
عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير فى
يديك

والشر ليس اليك

والشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك
بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فذلك المقام المحمود الذى ذكره الله وقال
اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى
آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة
النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم قد عذبتم ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره
بعده فى الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن
الحسين عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال جابر
بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله
عليه وسلم الذى يبعثه الله فيه قال نعم قال
فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذى
يخرج الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث
الشفاعة فى اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال
فهذا المقام المحمود الذى وعده وعن سلمان
رضى الله عنه المقام المحمود هو الشفاعة فى امته
يوم القيمة ومثله عن ابى هريرة رضى الله عنه
وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود
شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو
مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف

من الصحابة وعامة المسلمين وبذلك جاءت
مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام
وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض
السلف يجب الا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر
ولا شديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر
لكن ما فسره النبي عليه السلام في صحاح الاثار
يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات
في كتاب ولا اتفق سنة ولا اتفقت على المقالة به
امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة
وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله
الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال
فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن
طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن
ابي هريرة فتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يعقلون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك
حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة

فعصيت

فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل
الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى
ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي
قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سواله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي
دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى ابراهيم فانه خليل الله فياتون ابراهيم فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا
الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب
اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات
كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه
كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية
وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول
لست لها ويذكر خطيئته التي اصابها وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم
بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق
فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت
ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا

وفى رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الآن يلهمنيه الله وفى رواية
فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه
شيأ لم يفتحه على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة
فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع
تشفع فارفع راسى فاقول يارب امتى يارب امتى
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الابواب ولم يذكر فى رواية انس هذا
الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لى يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يارب امتى امتى فيقال انطلق فمن
كان فى قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده
بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال
حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل
ما تقدم وقال فيه من كان فى قلبه ادنى ادنى
ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
فى المرة الرابعة فيقال لى ارفع راسك وقل يسمع
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ايذن
فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك
ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة

عنه قال

عنه قال فلو ادرى فى الثالثة او الرابعة فاقول
يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى
وجب عليه الخلود وعن ابى بكر وعفبة بن عامر
وابى سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن
ونأتى الرماتة والرحم فيقومان جنبتى الصراط
وذكر فى رواية ابى مالك عن حذيفة فيأتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال وتجيئكم صلى الله
عليه وسلم على الصراط يقول سلم سلم حتى يجاز
الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفى رواية
ابى هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس
عنه عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون
عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما بين
يدى ربى مخافة ان يبعث بى فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل
حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى
ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
فدام بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول
يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة
ومن طريق زياد النميرى عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس

ايذن لا اله الا الله

يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة
وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي
فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجداً وذكر
نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لو شفعت يوم القيمة
لو كنت ممّا في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من هذه
الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام
ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها
من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه
وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لراحة الناس
من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس
كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا
الحديث اثقل فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه
من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسب ما اقتضته الاحاديث الصحيحة ثم فيمن
قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله
عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي
دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
اعلم انها مستجاب لهم ويلغ فيها مرغوبهم والا

فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا
صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
فيها عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف و
ضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعو بها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو
صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي
دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد
ان ادخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة
عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد
عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والوفد
اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته شيأ
من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع
بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة
وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة
جزاه الله افضل ما جزا نبياً عن امته وصلى الله
كثيراً

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي الشهيد ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن
احمد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني

ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار
ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن
ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب
ابن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله
بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي هريرة
الوسيلة اعلا درجة في الجنة وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير
في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولوء
قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي
اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج
مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمر ومثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري
ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي
وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن
ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله
اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة

من الخير

من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة فيما
ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر
نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
الف قصر من لولوء ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم

فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل
الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن
التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال ثنا السمرقندي
ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم
ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة
سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم
صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول
انا خير من يونس ابن متى وفي غير هذا الطريق
عن ابي هريرة قال يعني رسول الله تعالى ما ينبغي لعبد
الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي
قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال يقول ذاك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث

وفيه ولو اقول ان احداً افضل من يونس
ابن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لو يقول
احدكم انا خير من يونس ابن متى وفي حديث اخر
فجاءه رجل فقال له يا خير البرية فقال ذاك
ابراهيم **فاعلم** ان للعلماء في هذه الاحاديث
تاويلين احدهما ان نهيه عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل لينجمع
الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك
قوله لو اقول ان احداً افضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل
الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا
لو سلم من الاعتراض **الوجه الثالث** ان لو تفضيل
بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او لبغض منه
لو سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله
عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه
بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فربما
يخيل لمن لو علم عنده حطيطة بذلك **الوجه**
الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شئ واحد

لا يتفاضلون

لا يتفاضل واما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب والولايات
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل واما التفاضل
بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم
اولوا العزم من الرسل ومنهم من رفع مكاناً علياً
ومنهم من اوتي الحكم صبياً واوتي بعضهم الزبور و
بعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم
درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بشرونة احوال
ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر وتكون
امته ازكى واكثر وتكون في ذاته افضل واطهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من
كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من لطائف وتحف ولو بته واختصاصه
وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان للنبوة اثقالاً وان يونس تفسخ منها تفسخ
الربع فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها
جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه
وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب

وجه خامس وهو ان يكون انا راجعاً الى
الفاعل نفسه اى لا يظن احد وان بلغ من الزكاء
والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس
لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل
واعلا وان تلك الوقدار لم تحطه عنها حبة
خردل ولا ادنى وسنزيد فى القسم الثالث
فى هذا بياناً ان شا الله تعالى فقد بان لك الغرض
وسقط بما حررناه شبهة المعترض **فصل**
فى اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته
حدثنا ابو عمر ان موسى بن ابى تليد الفقيه
قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا
قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا
مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا
الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى
يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه
الله تعالى فى كتابه محمداً واحمد فمن خصائصه
تعالى له ان ضمن اسماءه وطوى اثناء ذكره
عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة
من صيغة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة
الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل
من حمد واكثر الناس حمداً فهو احمد المحمودين

واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة
ليتم له كمال الحمد ويتشهر فى تلك العرصات
بصفة الحمد وبعثه ربه هناك مقاماً محموداً
كما وعده بحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته ويفتح عليه من المحامدين كما قال
صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته
فى كتب انبيائه بالحامدين فحقيق ان تسمى محمداً
واحمد ثم فى هذين الاسمين من عجايب خصائصه
وبدايع ايائه فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى
ان تسمى بهما احد قبل زماننا امّا احمد الذى
انا فى الكتب وبشرت به الانبيا فمنع الله تعالى
بحكمته ان تسمى به احد غيره ولو يدعائه مدة
قبله حتى لو يدخل ليس على ضعيف القلب
اوشك وكذلك محمداً ايضاً لم يسم به احد من العرب
ولو غيرهم الى ان شاع قيل وجوده صلى الله
عليه وسلم وميلاده ان نبياً يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان
احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته
وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن
مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن
سفين بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن
خزاعى السلمى واسابيع لهم ويقال ان اول من
سمى محمد محمد بن سفين واليمن تقول بل محمد بن اليحمد

من الوزد ثم حمى الله كل من يسمى به ان يدعى
النبوة وايد عيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احدا في امره حتى يحققت السماء له
صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيها واما قوله
وانا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر ففسر في الحديث
ويكون محو الكفر اما من مكة ويبود الوب وما
روى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقوله انا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي اي على زماني
وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى
وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره
من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله
لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم
وقد روى عنه عليه السلام لي عشرة اسماء
وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسيره انه ياطاهر ياهادي وفي يس
ياسيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن
محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي
في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول

الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم اره وارى ان صوابه قيم بانا
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضا في كتب الانبيا قال داود
عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى
النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة
اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل
وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول
انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة
ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة
وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة
فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف
رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة
وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم
ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم
ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة

92

ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام
بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا
من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية
بني الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة
وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى
الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم انه قال
اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال
والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته
صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت من القابه
عليه السلام وسماته في القران عدة كثيرة
سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد
والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم
والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم
والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله
في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها
في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته
بالمصطفى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين

والشفيع

والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي
وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين
وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة
وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب
وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان
وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب
المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه
في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وخمطايا والخاتم والخاتم حكاه كعب الاحبار
قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والخاتم
احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشقح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد
روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه
قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل
على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة

التي وصف بها فهي في اللغة العصا وارادها
والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس
عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العامة ولم يكن حينئذ الا للعرب والعايم تيجان العرب
واوصافه والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع ان شا الله وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروى عن انس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل صلى الله
عليه وسلم فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا
الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله
الصدر للهداية الى استنباطه ولا اثار الفكر
لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل
الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله
فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة
خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل
بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى
ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ
عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم

وفضل

وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان خلاه
منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ
فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل
نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم
منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم نظهره لنا الان
ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود
لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا
بمعنى الحامد لنفسه والاعمال الطاعات وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم محمد واحمد فمحمد بمعنى محمود
وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكثر
من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا
حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى
الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه
الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره
وكذلك المبين اي البين امره والاهيته بان وابان
بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير المبين
وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا

بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا
ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى
الاول والمبين البيّن امره ورسالته او المبيّن
عن الله ما بعثه به كما قال لتبيّن للناس ما نزل
اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور
اي خالقه او منوّرا لارض والسموات بالانوار
ومنوّر قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد
وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك
لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة
وسماه سهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا
وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث
المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما
بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ولا فخر
في الوسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم
ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن
الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه
وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووصفه في اول سفر

من التوراة

من التوراة عن اسمعيل وستلد عظيما أو ذا عظمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار
ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم
وقيل المتكبر وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ذلك
وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي
صلى الله عليه وسلم اما لصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره وفي عنه تعالى في القرآن جبية المتكبر
التي لا يليق به فقال وما اتت عليهم بجبار ومن اسمائه
تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسئل به
خبيرا قال القاضي بجرت العادة المأمور بالسؤال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير
هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال عز من قائل
النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الله فالنبي
صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلم الله من مكنون
علمه وعظيم معرفة مخبر لوثته بما اذن له في
اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة
والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
بمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله

95

ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر
وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية البرك
بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه
من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى ثنائه على ربه
وتمديد مراتبه ورفيع ذكرى وجعلنى فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح
لابواب الرحمة على امته والفاتح البصائر لمعرفة
الحق والايمان بالله او الناصر للحق والمبتدئ بهدية
الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم
كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء
فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى
فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل
القليل وقيل المثنى على المصنعين ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا
شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا
اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسى فى الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم
لازيدنكم ومن اسمائه العليم والعلام وعالم الغيب
والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم

بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر فمعناها
السابق للاشياء قبل وجودها والباقى بعد فنائها
وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال صلى الله
عليه وسلم كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم
فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا
صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى هذا عمر بن
الخطاب رضى الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون
السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض
واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم
ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال
ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل
جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث المأثور
وورد فى الحديث ايضا اسمه عليه السلام الصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى المولى والمولى ومعناها
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله
وقال صلى الله عليه وسلم انا اولى كل مؤمن وقال
تعالى النبى اولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم

من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا
نبيه فى القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال
خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له
جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك وقال فى التوراة والانجيل
فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى
وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى
الدلالة والدعاء قال تعالى والله يدعوا الى
دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الهدى من الميل وقيل من التقديم وقيل
فى تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدى
الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه
فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء
وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه
تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعده عباده
والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين
وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى الدنيا
من ظلمه والمؤمنين فى الاخرة من عذابه وقيل

المهيمن

المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة
هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء امين انه اسم
من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل
المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله
عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله
امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس فى شعر مهيمنا وقول رضى الله عنه
ثم اعتدى بيتك المهيمن خذف عليا فحنها النطو
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله العينى والامام ابو القاسم
القشيرى وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المؤمن
ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقص
المطهر من سمات الحدث وسمى بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس
وروح القدس ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه
عليه السلام المقدس اى المطهر من الذنوب
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر اولدى يتطهر به من الذنوب وينزه
باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ليخرجهم
من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهر من اوصاف الدنيئة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب

او الذى لا نظير له او لمعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله اى لدوام امتناع وجود له
وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال
ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة منه وسمى
تعالى مبشراً ونذيراً وبشيراً اى مبشراً لاهل
طاعته ونذيراً لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى
فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضاً انها من اسماء محمد صلى الله عليه
وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله وها انا اذاكر نكتة اذ لهذا الفصل
واختم بها هذا القسم وارتج الوشكال بها
فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه
من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن سببه وهو
ان تعتقد [illegible] ان الله جل اسمه فى
عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته
لا يشبهه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان
ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا تشبه
الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين
اذ صفاتهم لا تنفك عن اعراض وهو تعالى
منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه ولم

فهذا

فى هذا قوله ليس كمثله شى ولله در من قال
من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات
وزاد هذه النكتة الواسطى رحمه الله بياناً وهى
مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة
موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب
اهل الحق والسنة والجماعة رضى الله عنهم
وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى رحمه الله
قوله هذا ليزيده بياناً فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهى بوجودها مستغنية وكيف
تشبه فعله فعل الخالق وهو لغير جلب انتفاع
اد فى نقص حصل ولا بخاطر واعراض وجد
ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق يخرج
عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا
ما توهمتموه بأوهامكم او ادركتموه بعقولكم
وهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى
من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمأن الى النفى المحض فهو معطل وان قطع
بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد

38

وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة
التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء
صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق
والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء
والثاني تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك
على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرق
الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه
بمنه ورحمته **الباب الرابع فيما اظهره الله
تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات** قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل
ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج
الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز
والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع
ورده بل الفتاه لاهل ملته الملبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة
لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونبينا
ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته

لتدل

لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق
والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة
واذا تامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه
وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى
هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله
بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب **حدثنا**
به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن
الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي
ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد
عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن
اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة
التميمي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله
عليه وسلم وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد
عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده

ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله قال له
اعد على كلما انك هو لوه فلقد بلغنى قاموس البحر
هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فاخبرانه راى النبى
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال على معكم نبى
تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا
وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
قلنا بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعاطعنه
فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا
فجاء رجل تمر فقال انا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وكالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك
عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد
دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير الا كان
اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له
وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى
بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبى وقال قطرب
فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل
قرانا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة
لكان منظره ينبيك بالخبر وقد ان ناخذ
فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى
معجزات القران وما فيه من برهان ودلالة
فصل اعلم ان جل اسمه قادر على خلق المعرفة
فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته
وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء
كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء وذكره بعض
اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحياً وجائز ان يوصل اليهم
جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون
ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة
مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم
ولا مانع لهذا من ذليل العقل واذا جاز هذا لم يحل
وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجز
مع التحدى من النبى قائم مقام قول الله صدق
عبدى فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن
فنزاد تتبعه وحده مستوفى فى مصنفات
ائمتنا رحمهم الله والنبوة فى اللغة من همز ماخوذة
من النباء وهو الخبر وقد لو تهمز على هذا التاويل

100

سنهيلاً والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه
واعلمه انه نبيه فيكون نبئ منبأ، فعيل بمعنى
مفعول او يكون مخبراً عما بعثه الله به ومنبئاً
بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون
عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض
معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند
مولاه منيفة فالوصفان في حقه موتلفان واما
الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل
في اللغة الا نادراً وارسالة امر الله له بالابلاغ
الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه
قولهم جاء الناس رسلاً اذا تتابع بعضهم بعضاً
فكانه الزم تكريرا التبليغ او الزمت الامة اتباعه
واختلف العلماء هل النبئ والرسول بمعنى واحد
او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من النباء وهو
الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبئ فقد اثبت لهما معاً
الارسال قال ولا يكون النبئ الا رسولاً ولا
الرسول الا نبئاً وقيل هما مفترقان من وجه
اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك
وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي
للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلناه
وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الوصفين ولو كانا

واحداً لما حسن تكرارها في الكلام البليغ قالوا
والمعنى وما ارسلنا من نبئ الى امة او نبئ ليس
برسول الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتداء ومن لم يات به نبئ غير رسول
وان امر با لابلاغ والانذار والصحيح والذي
عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبئ وليس كل
نبئ رسولاً واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله
عليهما وسلم وفي حديث ابي ذر عنه ان الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الف نبئ وذكر
ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم
ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليسا عند المحققين ذاتاً للنبئ ولا وصفي ذات
خلوفاً للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه
تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فما كان
النبئ صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يانيه من ربه
بعجل سمي وحياً وسميت انواع الالهامات
وحياً تشبيها بالوحي الى النبئ وسمي الخط وحياً
لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ
سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً اي اوما ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة
وقيل اصل الوحي الستر والاخفاء ومنه
سمي الالهام وحياً ومنه قوله وان الشياطين

ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون فى صدورهم
ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها
وقد قيل ذلك فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنا دستمينا ما جاءت به الانبياء
معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها

وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله دل على
صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم
عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم ونحوه
وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين
الاصابع وانشقاق القمر فما لو يمكن ان يفعله
احد الا الله فيكون ذلك على يد النبى صلى الله
عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه
ان ياتى بمثله لتعجيزه واعلم ان المعجزات التى
ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلت
نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم
كما سنبينه وهى فى كثرتها لو تحيط بها ضبط
فان واحدا وهو القرآن لو يحصى عدد معجزاته
بالف والف الف ولو اكثر لوفى النبى صلى الله عليه وسلم

قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم
واقصر السور ثلاثة اعطيناك الكوثر فكل اية
او اياة منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات على ما سنفصله فينا انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا
كالقرآن فانه معجزة ولو خلاف بمجئ النبى صلى الله
عليه وسلم وظهوره من قبله واستدلوا لاعجازه
وان انكر هذا معاند جاحد وهو كانكاره وجود محمد
صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وانما جاء اعتراض
الجاحدين فى الحجة به وهو فى نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
قال بعض ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه
قد جرى على يديه عليه السلام ايات وخوارق
عادات انا لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فانه مرة فى جريان معايشها على يديه
ولو يختلف مؤمن ولو كافر انه جرت على يديه
عجايب وانما خلاف المعاند فى كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة
قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا
من نبينا صلى الله عليه وسلم وضرورة لو تفاوت
معايشها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم احنف لو تفاوت الوجدان الواردة عن كل واحد منهم

102

على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان
كل خبر بنفسه لو يوجب العلم ولو يقطع لصحته
والقسم الثاني ما يبلغ مبلغ الضرورة والقطع
وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواة
العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه في جميع
الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل والاقول
صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة
عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما شاهد
القرآن فنص بوقوعه واخبر عن وجوده
ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع حسه
صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا
خلاف احد ممن يخل عرا الدين ولا يلتفت الى سخافة
مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نزعم بهذا انفه ونبذ به العراء سخفه وكذلك
قصة نبع الماء وكثير الطعام رواها الثقات
والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة ومنها ما رواه الكافة مستندا عمن
حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك
كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق

وفي غزوة بواط وغزوة الحديبية وغزوة تبوك
واما لها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يوثر
عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه
ولا انكار عما ذكر عنهم انهم رأوه كما زاد سكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت
على باطل والمداهنة في كذب وليس هنا لك رغبة
ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على
بعض اشياء رواها من السنن والسير وعرفت
القرآن وخطاء بعضهم بعضا ووهمه في ذلك
مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي
من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار
التي لو اصل لها ونبيت على باطل لو بد مع مرور
الازمان وتداول الناس واهل البحث من الكمان
ضعفها وجهول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار
الكاذبة والاراجيف الطارية واعلوم نبينا
صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طرق الوهاء
تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء
نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة
وغيظا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه
بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة

103

وهذا حق لو غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا
القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله
وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد لقلة مطابقته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والفنون اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان
اكثر الناس يعلمون بالضرورة ان بغداد موجودة وانها
مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد
من الناس لو يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا
يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة
للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من
رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس
وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره
وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي
في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل
وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولو روى اقوالهم
لو يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عن ما سواه وعند
ذكرنا احاد هذه المعجزات نريد الكلام فيها ايانا

ان شاء الله **فصل في اعجاز القرآن العظيم**
اعلم وفقنا الله وايانا ان كتاب الله العزيز
منطوٍ على وجوه من الاعجاز كثيرة ونحصيلها
من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها
حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام
وقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به
غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد
الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة
وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فمخطيون
بديهتا في المقامات وشديد الخطب ويجزون
بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون
من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الوجر ويهجون الدمن ويحرثون الجبال
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا ومنهم
البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل

104

والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل
والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما
في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة
والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا
في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين
وتفاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم
والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة
فوايده مختار لفظه وهو افصح ما كانوا في هذا الباب
مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع
والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا

بلغتهم

بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها
يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم
بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين
ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى
اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاخبار اقرب
واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
وللاول على الثاني فصل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويدم آلهتهم واباءهم
ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل
هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب
والاغتراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف
وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا

وبينك حجاب ولو تسمعوا لهذا القرآن ولغوا
فيه لعلكم تغلبون والدعاء مع العجز يقولهم
لو شاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن
فما فعلوا ولو قدروا ومن تعاطا ذلك من سخفهم
كمسيلمة كشف عوراة بجميعهم وسلبهم الله
من فصيح كلامهم والم يخف على اهل البصيرة منهم
انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم
بل ولوا عنه مدبرين وانقمعنين من بين مهتد
وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه
لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استتم
منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر
على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو
بقائم على راسه يستشهد شهادة الحق فاستخبره
فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقراء
اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل
على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة

وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه الاية وحكي لو صمعي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت
اوليعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع
في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفردا باية
غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان
معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
والاعتراف المقرين بالعجز عن بلاغته وانت اذا
تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية واشباهها من الورى بل اكثر

105

القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها
وكثرة معانيها ودباجة عبارتها وحسن تاليف
حروفها وتلاؤم كلها وان تحت كل لفظة منها
جملاً كثيرة وفضولاً جمة وعلوماً زواخر
ملئت الدواوين من بعضها استفيد منها
وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو
في سرد القصص الطوال واخبارا القرون
السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عدها
الكلام ويذهب ماء البيان اية المتماثلة من ربط
الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف
وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا تردد
قصصه اختلفت العبارة عنها على كثرة تردادها
حتى تكاد كل واحدة تنسى في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولو تفوز
للنفوس من ترديدها ولو معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه
العجيب والوسلوب الغريب المخالف اسالب
كلوم العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء
عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولو بعده نظيره له ولو
استطاع احد مماثلة شيء منه بل جارت فيه
عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع

او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القران رق
فجاءه ابو جهل منكراً عليه قال والله ما منكم احد
اعلم بالوشعار مني والله ما يشبه الذي يقول
شيأ من هذا ونفى خبره الاخر حين جمع قريشاً عند
حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا تكذب بعضكم بعضاً فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته
ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا
ولا وسوسة قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه
وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا
نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم
بقائلين من هذا شيأ الا وانا اعرف انه باطل
وانا اوجب القول انه ساحر فانه سحر يفرق
بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه
والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد
ذرني ومن خلقت وحيداً الايات وقال
عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم
قد علمتم اني لم ازل شيأ الا وقد علمته وقرانه
وقلته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت

107

مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام
ابي ذر ووصف اخاه انيساً فقال والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعراً
في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت
فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على قراء الشعر فلم يلتئم على لسان احد بعدي انه
شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب
بذاته كل واحد منها نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر
العرب على الاتيان بواحد منها اذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها واني هذا
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض
المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة
والاسلوب واتى على ذلك بقول نمجه الاسماع
وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعاً ومن تفنن في علوم
البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم

يقول

يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه
واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح
الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن القابسي الى انه
مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون
فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة
من اصحابه وعلى الطريق فعجز العرب عنه ثابت
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ
في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر
مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية
واقمع دلالة واعلى كل حال فما اتوا في ذلك
بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختياراً ولا يرضونه الا اضطراراً والا فالمعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به
لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد

ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره
فما حلوا في ذلك خبيئة من نبات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد
وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل
ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث**
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار
بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد
على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم
سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم
فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام
افواجا فما مات النبي صلى الله عليه وسلم وفي
بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم
وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد

من سعى

من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم
وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام
فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة
من كلامه لا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه
والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية
وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية
وقوله لن يضروكم الا اذا وان يقاتلوكم الاية
فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الاية
وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الى قوله في الدين وقد قال مبدأ ما قدره الله
واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون الى غير ذات
الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك
المستهزئين فلما نزلت بشر النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان
المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس

فكان كذلك على كثرة من يرام ضره وقصد قتله والوخبار بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع ما انباء به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان لو يعلم منه القصة الواحدة او الفذ من اخبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علم انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرأ ولا يكتب ولو اشتغل بمدارسة ولو مثاقبة لم يخف عنهم ولو جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء والقصص وبدء الخلق وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيبه ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له

وحرصهم على تكذيبه وطول الحجاج عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعدومه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة ثبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابنى اخطب وغيرهم ومن ثابت فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة يحتج الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معرفت بما تجحده ومتوافح يلقى على فضيحته من كتابة يده ولم تؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولو ابدى صحيحا ولو سقيما من صحفه قال الله

110

عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من كتاب ويعفوا
عن كثير **فصل هذه الوجوه الاربعة**
من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه
اي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم
انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قيل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج
في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم
انهم لن يتمنوه ابداً فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها
رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه
فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق
رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه
اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص
لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك
معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي
من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد
من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم
يقدم عليه ولا يجب اليه وهذا موجود مشاهد
لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة

من هذا

من هذا المعنى حيث وفد عليه استاقفه نجران
وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها
ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي والله وانه ما لاعن قوما
نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم يفعلون
فكان كما قال وهذه الاية ادخل في باب الاخبار
عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها
فصل واما الروعة التي تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم
عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهم
على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام
ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته توليه انجذاباً وتكسبه هشاشة
لميل قلبه اليه وتصديقه به قال الله تعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا
هذا القران على جبل الاية ويدل على ان هذا شيء خص به

انه يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم بينهم
تفاسيره كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ
فوقف يبكى فقيل له مما بكيت فقال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به
ومنهم من كفر فحكى فى الصحيح عن جعفر بن مطعم قال
سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شئ
ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبى
ان يطير وفى رواية وذلك اول ما وقر الايمان
الاسلام فى قلبى وعن عتبة بن ربيعة انه كلم
النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على فى النبى صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم
ان يكف وفى رواية فجعل النبى صلى الله عليه وسلم
يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد
عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبى صلى الله
عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمنى بكلام والله
ما سمعت اذناى بمثله قط والله فما دريت
ما اقول له وقد حكى عن غير واحد ممن رام

معارضته

معارضته انه اعترته وهيبة كف بها عن ذلك
فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع
فيه فمن بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك
فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس فى زمنه
فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر فى سورة الاخلاص
ليحذوا على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتنى خشية ورقة حملته على التوبة
والاستغفار والانابة **فصل ومن وجوه
اعجاز المعدودة كونه اية باقية لا تعدم
ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه**
فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها
فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة
خمس مائة عام وخمس وسبع وثلاثين سنة
لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان
وجملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان
الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير
والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشئ

يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف
من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن
كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص
على عقبه **فصل وقد عد جماعة من الائمة
ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة
منها ان قاربه لا يمله وسامعه لا يمجه**
بل الاكتاب على تلاوته يريد حلاوة وترديده
يوجب له محبة لا يزال غضاً طرياً وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد
ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات
ويؤنس بتلاوته في الازمان وسواه من الكتب
لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحوناً
وطرقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قرائتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل الذي
ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به
الاهواء ولا تلبس به الالسنة هو الذي لم ينته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآناً عجباً
يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها

احد

احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم
ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتخذلقون بعد ان ينصبوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة
ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه
من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم
واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم
قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا
عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله انزل هذا القرآن آمراً وزاجراً وسنة
خالية ومثلاً مضروباً فيه نباؤكم وخبر ما كان
قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد
ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط
ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط
المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع

عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه
ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود
وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين
والاخرين وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة
وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه
فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه
مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف
ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه
مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول
وذلك انه احتج بنظم القران وحسن رصفه وايجازه
وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه
ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة
والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد
ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى للقلوب واسمح في الاذان واحلى على الافهام
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها
تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه

قال الله تعالى

قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور السند عليهم والقران
ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها
مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف
انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف
معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر
ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله
والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقت
الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون
من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه
وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع
ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم
ووعيد هولاء مثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل
ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء

كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة
الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا
كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى
وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها داخل في باب
البلاغة فلا يجب ان يعد شيئا منفردا في اعجازه او
في باب تفضيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما
قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله او
في اعجازه وحقيقة الاعجاز لوجوه او لوجعة
التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن
وعجايبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل**
في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان برواية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبرنا عالي بوقوع
انشقاق قد بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن
ايانه واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا
سراج بن عبد الله ثنا الوصيلي ثنا المروزي
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى
عن شعبة وسفين عن الاعمش عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد

ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض
طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر
ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد
فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال
رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم
من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسلوا فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك
نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى
الوفاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل
الوفاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه
غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس
وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير
بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الوحي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى انس سئال اهل مكة النبي صلى الله عليه
وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين
حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاق
فذلك اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه

عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن
محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن
حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران
لو زدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة
والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض محذول
بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء
ظاهر يجب عليهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل لنا
عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كان
علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد جميع الارض
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين
وقد يكون من قوم ريضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم سحاب او جبال ولهذا
يحدث الكسوفات في بعض البلاد دون بعض
وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها
جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها
ذلك تقدير العزيز العليم وآية المحركات ليلة
والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التقرف ولو تكاد
يعرض من امور السماء شيء الا من رصد ذلك
واهتبل به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات
بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع

عظام تظهر في الوجيان بالليل في السماء
ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فارددها عليه الشمس شرقها قالت اسماء
فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت
ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء
في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لو ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة
وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي
روايته عن ابن اسحق لما اسرى برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة
التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء
فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم يجيء فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس **فصل في نبع الماء من بين**

اصابعه وتكثيره ببركته قال المؤلف رحمه الله اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا
روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر
وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي
عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم خاتم بن محمد ثنا
ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك
عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
الوضاء يده وامر الناس ان يتوضأوا منه قال
فرأيت الماء ينبع من اصابعه فتوضأ الناس
حتى توضأوا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس
قتادة وقال باناء فيه ماء يقدر اصابعه اولا يكاد
يعمر قال كم كنتم قال كاربعة ثلثمائة وفي رواية
عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا
حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد
قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه
وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما
ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة

بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتى بماء
فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء
ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل
الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في
ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده
في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال
العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس
عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر نادي الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء
شجب فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم ففمزها وتكلم
بشيء لا ادري ما هو وقال نادي بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق
اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما

قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا
فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى
وعن الشعبي قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا
يا رسول الله ماء غير هافصبها في ركوة ووضع
اصبعه وسطها فنبعت في الماء وجعل الناس
يجيئون ويتوضئون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لو تنطرق
التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شئ
الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لو دبكت على باطل فهولوه
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حصول الحما
الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له **فصل وقد يشبه هذا من معجزاته**
تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسته ودعوته
فمما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل
في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين
وهي تبض بشئ من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين

بايديهم حتى اجتمع في شئ ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده
فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن اسحق فاخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال لبوشك بك يا معاذ ان طالت بك حياة
ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء
وسلمة بن الاكوع وحديثهما في قصة الحديبية
وهم اربع عشرة مائة وبئرها لو تركت حمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء وانى
بد لو منها قبض فدعا وقال سلمة فامتلأ دعا
وامتلأ بصق فيها فجاشت فأرووا انفسهم وركابهم
وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق
ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس
حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش
في بعض اسفاره فدعا بالمبضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس
حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الى انها كما
اخذها متى وكانوا اثنين وسبعين رجلا وورد
مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث
ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله

عليه وسلم خرج بهم ممداً لاهل مؤتة عندما بلغه
قتل الامراء وذكر حديثاً طويلاً فيه معجزات وايات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر الميضاءة قال والقوم رهاء
ثلاث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ
علي ميضاءتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم
فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها
واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء
من مزاديتها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم
اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس
فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً الا ملؤه قال
عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء ثم امر
فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فانا لم ناخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا الحديث
بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بارواة فيها
نطفة من ماء فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا
ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث
عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش
حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه

فرغب

فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم يجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز
عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله
عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء
اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه
الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا

القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا الغدري
ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن
بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلاً
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه
شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته
وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم
ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه
صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلاً
من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي
ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله

ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير
وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا كما هي وان عجيننا
ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن
جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله
عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما قال
وجئ بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله
فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء
وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين
من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال
ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة
بن جندب قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل

يقوم

يقوم قوم ويقعد اخرين ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث
انه عجز صاع من طعام وصنعت قشاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين
ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة
بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا
مخمصة اصابت الناس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد
فجاء الرجل انا لحشية من الطعام وفوق ذلك
واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز
ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء الا ملؤه وبقي منه قدر ما جعل اولا
ولو ورده اهل الارض لكفاهم وعن ابي هريرة
قال امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له
اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي
مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا
وبقي كما هو ثم دعا بعيس فشربوا حتى رووا
وبقي كانه لم يشرب وقال انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعوا له
قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت
والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر
جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور
نحوا مما كان وكان القوم احدا او اثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم
كانوا رهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي
ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين
رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي
ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدايها ووجهت
عليا رضي الله عنه في طلب النبي صلى الله عليه وسلم
ليتغدا معهما فامرها ففرقت منها لجميع نسائه صحفة
صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم رفعت العدد
وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر
عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس
فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب
فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض

من التمر

من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي
ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن
مقرون الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب
من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه
بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله
فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها
وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه
جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون
كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال
وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر
في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم
الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل
يدك واقبض منه شيئا ولا تكبه فقبضت
على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب
وفي رواية حملت من ذلك التمر كذا وكذا من
وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية

في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة
ومنه ايضاً حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع
فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبناً
في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة
قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه
شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله
عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي
جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا
والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكاً فاخذ
القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه
وسلم شاة وكان عيال خالد كثيراً يذبح الشاة
فلا تبد عياله عظماً وان النبي صلى الله عليه وسلم
اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد
ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا
ذكر جبره الدولابي ومن حديث الاجري في
انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بلالاً بقصعة من اربعة
امداد او خمسة ويذبح جزوراً لوليمتهما قال فاتيته
بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة

ياكلون

ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك
فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيساً
فجعلته في اتور فذهبت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلاناً وفلاناً
ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احداً لقيته الا
دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا
الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه
وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا
كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول
الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا
الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا يتعد بعدهم
واكثرها في قصص مشهور ومجامع مشهورة
لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها
على ما انكر **فصل في كلام الشجرة وشهادتها له
بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا**
احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن

ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي
ثنا ابو خيثمة التيمي وكان صدوقا عن مجاهد
عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي
اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال
وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك
على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ
الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين
يديه فاستشهدها ثلوثا فشهدت انه كما قال
ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة قال سأل
اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له
قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت
تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي
مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي ائذن
ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي
ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح

وفي حديث

وفي حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيأ
يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى
اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله
فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل
لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما
ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي
فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة
منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا
وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق

وقلهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركن ان ياتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن
فوالذى بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى قل لهن
يفترقن فوالذى نفسى بيده لرايتهن والحجارة
يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى
ابن سيابة كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم
فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر
فامر وديتين فانضمتا وفى رواية اشاتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفى مثله فى شجرتين
وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم
على وفى حديث عبد الله بن مسعود اذنت
النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له
شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود فى هذا
الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه
الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع

وذكر مثل

وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضى
ابو الفضل المصنف رحمه الله وهذا ابن عمر
وبريده وجابر وابن مسعود ويعلى ابن مرة
واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلى بن
ابى طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا
على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
عنهم من التابعين اضعافهم فصارت فى انتشارها
من القوة حيث هى وذكر ابن فورك انه صلى الله
عليه وسلم سار فى غزوة الطايف ليلا وهو
وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له بصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا
هذا وهى هناك معروفة معظمة ومن ذلك
حديث انس ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه
وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشى حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع
فعادت الى مكانها وعن على نحو هذا ولم يذكر
فيها جبريل قال اللهم ارنى اية لا ابالى من كذبنى
بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه
وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له
وذكر ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الاية فى شجرة دعاها

فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال لها
ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه
وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله
اية يعلم بها الا مخافة عليه فاوحى الله اليه
ان ايت وادي كذا فيه شجرة فادع غصناً منها
ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطاً حتى انتصب
بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع
كما جئت فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة علي
ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا بالي من
كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله
عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا
العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينفر حتى اتاه فقال
ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال
هذا حديث صحيح **فصل في قصة حنين الجذع**
ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع
وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به
متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن
عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي

وحديث

وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان
المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع
صوتاً كصوت العشار وفي رواية انس حتى
ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر
بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب
حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق
عن انس وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد
اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض
وعاد رقاقاً وذكر الاسفرايني ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق
الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه
وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه
وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك حوض وثمرة وان شئت اغرسك

في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرتك ثم اصفاله
النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فياكل امتي اولياء الله واكون
في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اخبار
دار البقا على دار الفنا فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه
فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر
حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن
ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن ابن
بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه
عن ابن عمر نافع وابو وجيهة ورواه نضرة وابو الوداك
عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس
وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل
بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله
بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث
كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى
من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثيب على الصواب

فصل

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا

القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن الرابط ثنا المهلب
ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى
ثنا ابو احمد الزبيري ثنا اسرائيل عن منصور
عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه
وقال انوا خذا النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد
ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى
مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في عهد عثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه
السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم
علي قبل انا بعث الحجر الاسود وعن عايشة لما
استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر
بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله

وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن صلى الله عليه
وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث
العباس اذا أشتمل عليه النبي صلى الله عليه وعلى
نبيه بمائة ودعا لهم بالستر من النار كسوه
اياهم بمائة فامنت اسكفه الباب وحوائط
البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه
وسلم فسبح وعن انس قال صعد النبي صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احداً فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد
معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضاً عن
عثمان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعداً قال ونسيت
الوثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضاً مثله
وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين
طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فهبط نبي الله
فقال حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله
حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار

انا الجبار

انا الجبار انا الكبير المتعال ورجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس قال
كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مشبثة
الو رجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل
يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول
جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى صنم
الا وقع لقفاه ولا وقع لوجهه حتى ما بقي
منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال
فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في
ابتداء امره اذ خرج تاجراً مع عمه وكان الراهب
لو يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين
فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه
لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجداً له ولا يسجدان
الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس
مال الفيء اليه **فصل في اذيات في ضروب**
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك
ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس

ثنا ابو الفضل الصفلي ثنا ثابت بن قاسم بن
ثابت عن ابيه وجده قالوا ثنا ابو العلاء احمد
بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا
مجاهد عن عايشة قالت كان عندنا داجن فاذا
كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فروثت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروى عن عمران رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي
قد ضاد ضباً فقال ما هذا قالوا لو انبئ الله فقال
واللوت والعزى لو امنت بك او يؤمن هذا الضب
وطرحه بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك
يا زين من اوفى القيمة قال من تعبد قال الذي
في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر
سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال
فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين
وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة
عن ابى سعيد الخدري قال بينا راع يرعى
غنماً له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي
منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت

بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب
يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك
بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث
الناس بأنباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قم فخذ غنمك ثم قال صدق
والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى
حديث ابى هريرة وفي بعض الطرق عن ابى هريرة
فقال الذئب انت اعجب واقفاً على غنمك
وتركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط اعظم منه
عنده قدراً قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى
قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها
حتى ترجع فاسلم اليه الرجل غنمه ومضى وذكر
قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك
وذبح للذئب شاة منها وعن هياج بن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم
الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه
كان صاحب القصة ايضاً وسبب اسلامه
بمثل حديث ابى سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا

128

انه جرى لابى سفين بن حرب وصفوان بن امية
مع ذئب وجداه اخذ ظبياً فدخل الطبى الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفين واللات والعزى
لئن ذكرت هذا بمكة لنتركنها خلوفاً وقد روى
مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل واصحابه
وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلوم ضمار
ضمه والشاهد الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله
عليه وسلم فانا أطائر سقط فقال يا عباس
اتعجب من كلوم ضمار ولا تعجب من نفسك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الى
الوسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه
وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله
عليه وسلم وامره وهو على بعض حصون خيبر
وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله
كيف بالغنم قال اخصب وجوهها فان الله
سيودى عنك امانتك ويردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم
حايط انصارى وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفى الحايط غنم فسجدت له الغنم فقال
ابو بكر نحن احق يا لسجود لك منها الحديث

وعن

وعن ابى هريرة دخل النبى صلى الله عليه وسلم
حايطا فجاء بغير فسجد له وذكر مثله ومثله
فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله
ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لو يدخل احد الحايط اثار شد عليه الجمل فلما
دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه
فوضع وشغره فى الارض وبرك بين يديه يحفظه
وقال ما بين السماء والارض شئ الا يعلم ان
رسول الله الا عاصى الجن والانس ومثله عن
عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر اخر فى حديث
الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل لهم عن
شانه فاخبروه انهم اراد وا ذبحه وفى رواية
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى
كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى
الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فشان الجمل
من صغره وفا لوانغم وقد روى فى قصة العضباء
وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها له
بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب
الوحوش عنها ونداتهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل
ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره ابو سفر
وروى ابن وهب ان حمام مكة اطلت النبى
صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة

ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله
شجرة فنبتت بحذاء النبى صلى الله عليه وسلم
فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى
حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما
اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى صلى الله عليه
وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن فرط
قال قرب الى النبى صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فاذ دلفن
اليه بايتهن يبداء وعن ام سلمة قالت كان النبى
صلى الله عليه وسلم فى صحراء فاذنته ظبية يا رسول الله
قال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى
ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم
فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه
الاعرابى وقال يا رسول الله لك حاجة قال
تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدوا
فى الصحراء وتقول اشهدان لا اله الا الله واشهد
انك رسول الله ومن هذا الباب ما روى من تسخير
الوحش لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقى اسدا فعرفه
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر فى منصرفه مثل

وفى رواية

وفى رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت
فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزنى
بمنكبه حتى اقامنى على الطريق واخذ عليه
السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وفى
ذلك الاثر فيها وفى نسلها بعد وما روى
عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى
اصابه بخيبر وقال له اسمى يزيد بن شهاب
فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا
وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبى
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى فى بئر
جرعا وعرقوفات وحديث الناقة التى شهدت
عند النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفى العنز التى
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره
وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم
زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها
وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها هو الذى

130

ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام
وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لو تبرح
بارك الله فيك حتى تفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما عرك غضوا منه حتى صلى صلى الله عليه
وسلم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب
فصل في احياء الموتى وكلام الصبيان
والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا
ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا
قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن لهيعة ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل
القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني
انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت
نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا
ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت

اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روى
عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرني به
هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن
ان فحذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة
بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك
ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي
الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت
اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع اكرامه
الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية
التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية
ابن عباس رضي الله عنهما انه دفعها لاولياء
بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف
في قتله صلى الله عليه وسلم للذي سحره قال
الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى

131

عنه انه قتله وروى الحديث البراء عن
ابى سعيد فذكر مثله الواقدى قال فى اخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكر
اسم الله فلم يضرنا احداً قال القاضى ابو الفضل
وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح
وخرجه ائمة وهو حديث مشهور ولم يختلف
ائمة اهل النظر فى هذا الباب فمن قايل يقول
هو كلام يخلقه الله تعالى فى الشاة الميتة
او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله
فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها
عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابى الحسن والقاضى
ابى بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد
الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا
ايضاً عن شيخنا ابى الحسن وكل محتمل والله اعلم
اذ لم يجعل للحياة شرطاً لوجود الحروف
والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم
الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام
النفسى فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حى خلافاً للجبائى من بين
سائر متكلمى الفرق فى احالة وجود الكلام
اللفظى والحروف والاصوات الا من حى مركب
على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك فى الحصى والجذع والذراع وقال

ان الله

ان الله خلق فيها حياة وحرك لها فماً ولساناً
والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان
نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او جنبه
ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئاً
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لو ضرورة
اليه فى النظر والموفق الله وروى وكيع وقعه
عن مهدى بن عطية ان النبى صلى الله عليه وسلم
اتى بصبى قد شب لم يتكلم قط فقال من انا
فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب
قال رايت من النبى صلى الله عليه وسلم عجباً جئ
بصبى يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه
وفيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صدقت
بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها
حتى نشب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة فى حجة الوداع وعن الحسن
قال اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له
انه طرح بئية له فى وادى كذا فانطلق معه الى
الوادى وناداها باسمها يا فلونة اجيبى
باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك
عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيراً لى
منهما وعن انس ان شاباً من الانصار توفى وله ام

132

عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت
مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني
هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني
على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما
برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري
قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس
وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه
القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الشهيد وعثمان البار الرحيم فنظرنا فاذا هو
ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن
خريماً في بعض ازقة المدينة فرفع وسمع
اذ سمعوه بين العشائين والمنساء يصرخن
حوله يقول انضتوا انضتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق
صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
ثم دعا ميتاً كما كان **فصل في ابراء المرضى**
وذوي العاهات حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجاز لنه وقراءة
علي غيره ثنا ابو اسحق الجبال ثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد

البكائي

البكائي عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم
بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد
بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينا ولي
السهم لنصل له فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن
قوسه حتى انذقت واصيبت يومئذ عين
قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت احسن عينيه وروى قصته
قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عاصم
بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري
عن قتادة وبصق على اثرهم في وجه ابي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح
وروى النساي عن عثمان بن حنيف ان اعمى
قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي
عن بصري قال فانطلق فتوضاء ثم صلى
ركعتين ثم قال اللهم اني اسالك واتوجه اليك
بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي
ان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في قال
ففعل وقد كشف الله عن بصره وروى ان
ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم

133

فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها
ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجباً يرى
ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا هلكة
فسر بها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن
فديك وقال فوبك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لو ابصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط
في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمى كلثوم
بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه فبراء وتفل على سجة
عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي
يوم خيبر وكان رمداً فاصبح بارئاً ونفث
على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر
فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
الى الكعب حين قتل ابا الاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذا انكسرت
فبرى مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى
علي بن ابي طالب فجعل يدعوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد
وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء
فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب

ومن روايته

ومن روايته ايضاً ان حبيب بن يساف
اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال
شقه فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح واتته امراة من جشم
معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها فسقيه
ومسه به فبرا الغلام وعقل عقلاً يفضل
عقول الناس وعن ابن عباس جات امراة
بابن لها به جنون فمسح صدره فثغ ثغة فخرج
من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفات
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له ونفل فيه فبرى لحينه
وكانت في كف شرجيل الجعفي سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية
طعاماً وهو ياكل فاولها من بين يديه وكانت
قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك
فاولها ما في فيه ولم يكن يسال شيأ فيمنعه
فلما استقر في جوفها القى عليها من الحياء
ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياءً منها

فصل في اجابة دعائه وهذا باب واسع

جداً واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة
ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل
ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
ابو محمد الغنابي بقرائي عليه ثنا ابو القسم خالد
بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله
بن ابي اويس ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن
انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك
انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال
انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد
ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية
وما اعلم احداً اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لوافول سقطاً ولو ولد ولد ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجراً لرجوت ان اصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فخلف الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفاً وكن اربعاً وقيل مائة الف
وقيل بل صولحت احداهن لو طلقها في رضة على

وثمانين الفاً واوصى بخمسين الفاً بعد صدقاته
الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق
يوماً ثلثين عبداً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردن عليه بحمل من كل شيء فتصدق بها
وبما عليها وبأقتابها واحلاسها ودعا لمعونة
بالتمكين في البلاد قال الحافظ وقد سعد بن
ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد
الا استجيب له ودعا بقرع الاسلام بعمر او
ابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء
فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت
ودعا في استسقاء فسقوا ثم شكوا اليه
المطر فدعا فصحوا وقال صلى الله عليه وسلم
لوفي قتادة رضي الله عنه افلح وحمل اللهم
بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكانت ابن خمس عشرة سنة
وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له
سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغراً
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا

195

لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئاً الا ربح فيه ودعا للمقداد
بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا
بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال لقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفاً
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى
التراب ربح فيه وروى مثل هذا لعرقده ايضاً
وندت له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح
حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت
ودعا لعلي ان يكفي الحر والقر فكان يلبس
في الشتا ثياب الصيف وفي الصيف
ثياب الشتا ولا يصيبه حر ولا برد ودعا
لفاطمة ابنته الله الا يجيعها قالت فما جعت
بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال
اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال
يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف
سوطه فكان يضئ في الليلة المظلمة فسمي
ذا النور ودعا على مصر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى
حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له
باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار
البلاد ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه

ياكل

ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال
لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلباً
من كلابك فاكله الاسد وحديثه المشهور
من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه
على قريش حين وضعوا السلام على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال
فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم
ابن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند
النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه فقال
كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض
ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين
ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة
للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذباً فلا تبارك له فيها فاصبحت
شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر
من ان يحاط به **فصل في كراماته وبركاته
وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره**
اخبرنا احمد بن محمد ثنا ابو ذر الهروي اجازة
وثنا القاضي ابو علي سماعاً والقاضي ابو عبد الله

محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا
ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا
البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة
عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا مرة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً
لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال
غيره يبطاء فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحراً فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان
قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي حففها
بمحفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها
نشاطاً وباع من بطنها باثني عشر الفاً وكانت
شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد
فلم يشهد بها قتالاً الا رزق النصر وفي الصحيح
عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون
قال كان عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله
عليه وسلم نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها
واخذ جهجاة الغفاري القضيب من يد عثمان
ليكسره على ركبتيه فصاح به الناس فاخذته

الو

الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوء في بئر قبا فما نزفت بعد
وبرق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له
بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه
اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين
لسانه فمضاه فكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكان لام مالك عكة تهدى فيها للنبي صلى الله
عليه وسلم سمناً فامرها النبي صلى الله عليه
وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي
مملوة سمناً فياتيها بنورها يسئلونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فيجد فيها سمنا
فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل
في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه
الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كانت مواليه على ثلاث مائة
ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى
اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه
وسلم وغرسها له بيده الا واحدة غرسها
غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه

الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغرسها فاطعمت مزعارها وأعطا
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعدان اراد ها
على لسانه فوزن منها لموالية اربعين اوقية
وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش
بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق اولها و وشربت اخرها
فما برحت احد شبعها اذا جعت وريها اذا
ضمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه
العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً وقال
انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك
عشراً ومن خلفك عشراً فاذا دخلت بيتك
فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاله العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه
لعكاشة جدل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفاً
صارماً طويل القامة ابيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون و دفعه لعبد الله
بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب فحل
فرجع في يده سيفاً ومنه بركة في درور

الشياه الحوايل باللبن الكثير كقصة شاة
ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة ابن
وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله
بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المعدد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعدان
اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا
فحلوه فاذا به لبن طيب و زبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد
وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى
مثل هذه القصة عن غير واحد منهم السايب
بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعقبة بن فرقد
طيب يغلب طيب نسائه لون رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت
الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين
ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح
على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فعاش
وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم ومامرت يده
عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح
وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه
قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده

138

على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان
حنظلة يوفى يا لرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبى
صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم وتضح
فى وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء
فما يعرف كان فى وجهها اواة من الجمال ما بها ومسح
على رأس صبى به عاهة قبرأ واستوى شعره
وعلى عنز واحد من الصبيان المرضى والمجانين
فبرئوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء
من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس قال لم يوقت
النبى صلى الله عليه وسلم باحد به مس فضلك
فى صدره الوذهب المس الجنون ومج فى دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة
من تراب يوم حنين ورمى بها فى وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا منهزمون
القذا عن عينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان
فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه
ففعل فما نسى شيأ بعد وما روى عنه فى هذا
كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له
وكان ذكر له لم يثبت على الخيل فصار من افرس
العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد
بن الخطاب وهو صغير وكان ذميما ودعا له
بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب
وما يكون والاحاديث فى هذا الباب كثيرة
لا يدرك قعرها ولا ينزف غورها وهذه المعجزة
من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل
الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق
معانيها على الاطلاع على الغيوب حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى اجازة
وقراءة على غيره قال ابو بكر ثنا ابو على النسترى
ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللولوى ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابى شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن
ابى وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ
يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا
حدثه حفظه ونسيه قد علمه اصحابى هؤلاء
وانه ليكون منه الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر
الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه
عرفه ثم قال حذيفة ما ادرى انسى اصحابى
ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قائد فئة الى ان تنقضى الدنيا
يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا
باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا

139

منه علماً وقد خرج اهل الصحيح والائمة
ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهورا لمؤمنين حتى
تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله و
ان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد على
في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويورثون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث
بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين
فرقة الناجية منها واحدة وانهم سيكون لهم
انماط ويعدوا احدهم في حلة ويروح في اخرى
ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويتزوق
ببيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث
وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم
رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقاسم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وقارس حتى لا كسرى ولا قارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون
الى اخر الدهر وبذهاب الاشل فلا اشل من النار
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن
والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه

روى له

روى له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتى ما زوى له منها وكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين
ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجه حيث
لا عمارة وراءه وذلك لم تملكه امة من الامم
ولم يمتد في الجنوب ولا في السماء مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم
الغرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي
الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد
المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر
من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم
كذلك قيل يا رسول الله وابن هم ببيت المقدس
واخبر بملك بني امية وولاية معوية ووصاه
واتخاذ بني امية مال الله دولا وحروج والملاعبة
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا
وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب
هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار
يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان
فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن
ينسب اليه من الروافض كفروه وقال ليقتلن عثمان

وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصاً وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه
على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لو تظهر
ما دام عمر حياً وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح
كلاب الحوب على بعض ازواجه وانه يقتل
حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فتخفى على
عايشة عند خروجها الى البصرة وان عماراً
تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك
وويل لك من الناس وقال في قرمان وقد ابلى
مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال
في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة اخركم موتاً في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتاً هرم وخرف
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في خطلة
الغسيل رضي الله عنه سلوا ازواجه عنه فان
رأت الملائكة غسله فسلوها فقالت انه
خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد
رضي الله عنه ووجدنا راسه يقطر ماء وقال
الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش
ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسلمة
يغفر الله وان فاطمة اول اهله لحوقاً به وانذر

بالردة وبان الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم
ملكاً فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال
ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
ثم يكون ملكاً عضوضاً ثم يكون عتواً وجبروتاً
وفساداً في الارض واخبر بشان اويس القرني
وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون
في امتي ثلاثون كذاباً فيهم اربع نسوة وفي حديث
اخر ثلاثون دجالاً كذاباً اخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك
ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيكم ويضربون رقابكم
ولو تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون وقال لو يأتي زمان أو
والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يد
اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت
سميتهم كم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور
القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة
اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام
فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق جماعة وانهم
سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج
وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم

144

التخليق ويروى رعاء الغنم رؤس الناس
والفراة الخفاة ينبارون في البنيان وان
تلد الامة ربتها وان رقيتاً والوحزاب لن يغزونه
ابداً وانه هو يغزوهم واخبر بالموقان الذي
يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى
البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة
وان الذين لو كان منوطاً بالثريا لنالته رجال
من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال
جئت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة
وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضربت
احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب
القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتداً
يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزاً من خرز
يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة
بخطامها وبثبات كتاب حاطب الى اهل مكة
ونقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه
على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير
الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً لقتله
واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الامر واسلم واخبر بالمال الذي
تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال
ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل

ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انديا كله
كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال
وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله
بين فئتين ولسعد لعلك ان تخلف حتى
ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون
واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبنعيهم مسيره
شهراً وانبذ ويموت النجاشي يوم مات وهو
بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولاً
من كسرى يموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق
فيروز القصة اسلم واخبر باذ ربتطريده
كما كان ووجده في المسجد نائماً فقال له
كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد
اكلهو قال فاذا اخرجت منه الحديث وتعيشه
وحده ويموت وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقاً اطولهن يداً فكانت زينب اطول
يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف
واخرج بيده تربته وقال فيها مضجعه وقال
في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى
الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين
كانوا معه على حراثيت قائماً عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست
سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه

142

وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصلات يجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعنى ببغداد وقال سيكون
فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة
وقال لعمر فى سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابى بكر
يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطب
نحو خطبته وثبتهم وقوى بصايرهم وقال
لخالد حين وجهه لكيدانك تجده يصيد
البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته
وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم
الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم
واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم و
قولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لولم يكن عنده
من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه
بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم
وكونه فى مشط ومشاطة فى جف طلع
نخلة ذكر وانه القى فى بئر ذروان فكان
كما قال قال ووجد على تلك الصفة واعلمه

قريشاً باكل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا
بها على بنى هاشم وقطعوا بها ارحمهم وانها لم تبق
فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر
الوسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلمهم
بغيرهم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت
وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به
من الحوادث التى تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت
مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة
وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار
الابرار والفجار والجنة والنار وعرضت
القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا
مفرداً يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا
اليه من نكت الاحاديث ذكرناها كفاية واكثرها
فى الصحيح وعند الائمة **فصل فى عصمة الله**
تعالى له من الناس وكفايته من اذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمداً
اعداؤه المشركين وقيل غير هذا وقال
انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين

كفروا الويه اخبرنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ
ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالوا ثنا
ابو الحسن الصيدفي ثنا ابو يعلى البغدادي
ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو العباس المروزي ثنا
ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم
بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد بن مسروق
عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه
من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمني ربي عز وجل وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني
فقال الله فارعدت يدا الاعرابي وسقط سيفه
وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الاية وقد روي هذه القصة في الصحيح
وان غورث بن الحارث اسلم صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع
الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له

يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته
فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي
انه وقع له مثلها في غزوة عطفان بذي امر
مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل
اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغزوه وكان
سيدهم واجمعهم قالوا له ابن ما كنت تقول
وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طوال
دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف
فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي
ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يقتل
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا
وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فاكبت من وجهه من لكمة
زلخها بين كتفيه ونذر سيفه من يده الزلخة
وجمع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر انه
نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم الاية وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع الغضاة
وهي حمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكانما بطوها كشيا أهيل وذكر ابن اسحق عنها
انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه
ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليها
لم تراه ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله
عليه وسلم فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص قال تواعدنا على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا راياه سمعنا صوتا
خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع
الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى
اذا راياه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا
وبينه وعن عمر قال تواعدت انا وابو جهل
بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له فافتح ولم نطق
ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهل
على عضد عمر وقراهار بين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاة
التامة عندما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب

على

على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن يؤيهم
في الغار بما هيأ الله له من لويات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف
حين قالوا له ادخل الغار ما اريكم فيه وعليه
من نسج العنكبوت ما اري الوا انه قبل ان يولد
محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت
قريش لو كان فيه احد لما كانت هنالك الحمام
وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين
الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل
فاندر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه
دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوايم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت
ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوايمها مثل الدخان فناداهم بالامان
فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا
كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم الاخبار
وامره النبي صلى الله عليه وسلم الا يترك
احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم
ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي

فادعوا الى فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعياً
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشاً فلما ورد
مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما
ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد
وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت
بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع
القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع
قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه
فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه
فحل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
جبريل لو دنى لاخذه وذكر السمرقندي
ان رجلاً من بني المغيرة اتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره
فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه
وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا
في اعناقهم اغلالاً الايتين ومن ذلك
ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني
النضير في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم

فانبعث

فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه
رحاً فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن امية
فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر
حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته
حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى
الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشاً
لئن راى محمداً صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم
اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هارباً
ناكصاً على عقبيه متقياً بيديه فسئل فقال
لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوءاً ناراً كدت
اهوي فيه وابصرت هولاً عظيماً وخفق
اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً
عضواً ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم

كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة
وبروى انّ رجلاً يعرف بشيبة بن عثمان
الحجبى ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثارى من محمد
فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبّه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى
شواظ من نار اسرع من البرق فولّيت هارباً
ولحسن بى النبى صلى الله عليه وسلم فدعانى
فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الىّ
فما رفعها الىّ وهو احبّ الخلق الىّ وقال لى
ادن فقاتل فتقدّمت امامه اضرب بسيفى
واقيه بنفسى ولو لقيت ابى تلك الساعة
لوقعت به دونه وعن فضالة بن عمر وقال
اردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال
افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدّث به نفسك
قلت لا شئ فضحك واستغفر لى ووضع يده
على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى
ما خلق الله شيأ احبّ الىّ منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس
حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه
انت فلم يره فعل شيأ فلما كلمه فى ذلك قال له

والله

والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بينى وبينه افاضربك ومن عصمته لدتعلم
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعيّنوه
لقريش واخبروهم ببسطوته بهم وحضّوهم
على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره
ومن ذلك نصره بالرعب امامة مسيرة
شهر كما قال صلى الله عليه وسلم **فصل**
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له
من المعارف والعلوم وخصّه به
من الوطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته بامور شرايعه وقوانين دينه
وسياسة عباده ومصالح امّته وما كان
فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم
الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعى
سيرهم وسرد انبائهم وايّام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمدنهم
واعمارهم وحكى حكمائهم ومحاجة كل امّة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين
بما فى كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه
الى الوحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ
فرقها والوحاطة بضروب فصاحتها والحفظ

لويا وها وامثالها وحكمها ومعانى اشعارها
والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضروب
الومثال الصحيحة والحكم البيّنة لتقرب التفهيم
الغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد
الشرع الذى لو تنا قص فيه ولو تخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد
الاداب وكل شئ مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد
ذو عقل سليم شيأ الا من جهة الخذلان بل كل
جاحد له وكافر من الجاهلية بداء اسمع يدعوا
اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما اصل لهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار اجلا الى لوحتواء على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرايض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما تخذ
اهل هذه المعارف كلومه عليه السلام فيها
قدوة واصولا فى علمهم كقوله عليه السلام
الرؤيا لاول عابر وهى على رجل طاير وقوله
الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل
نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله
اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب
وقوله اصل كل داء البردة وما روى عنه

فى حديث

فى حديث ابى هريرة من قوله المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان
هذا حديثا لم يصححه لضعفه وكونه موضوعا
تكلم عليه الدار قطنى وقوله خير ما تداويتم
الشعوط واللدود والحجامة والمشى وخير
الحجامة يوم سبعة عشر وتسعة عشر واحدى
وعشرين وفى العود الهندى سبعة اشفية
وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن
الى قوله فان كان لابد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل
عن سباء ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال
رجل ولد عشرة يتامن منهم ستة وتشاءم
اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه فى نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب
على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا
فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب وبابها
ومدحج هامتها وغلصمتها والوزد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وقوله فى الحوض زواياه
سواء وقوله فى حديث الذكر وان الحسنة
بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان
والف وخمس مائة فى الميزان وقوله وترتيع

نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعينية او لا فرع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه اذكر للمملى هذا مع انه صلى الله عليه
وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتى علم كل شئ
حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن
الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس
وقوله في الحديث الاخر الذى يروى عن معاوية
انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء
وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق
علم هذا او يمنع الكتابة والقراءة واما علمه
صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظ معانى
اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم
كقوله في الحديث سَنَهْ سَنَهْ وهى حسنه بالحبشية
وقوله يكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث
ابى هريرة اشكنبد ردم اى وجع البطن
بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا
ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدروس

والعكوف

والعكوف على الكتب ومثاقبة اهلها عمره
وهو رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب ولم يقرأ
ولا عرف بصحبة من هذه صفة ولا نشأ بين
قوم لهم علم ولا قراءة لشئ من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشئ منها قال الله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الاية انما كانت غاية معارف العرب
النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان
وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك
والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه
وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه
وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشئ مما ذكرناه
ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصناه
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر
فرد الله قولهم بقوله لسان الذى يلحدون اليه
اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة
للعيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان
او العبد الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة
ونزول الكثير من القران وظهور ما لا يتعد
من الايات واما الرومى فكان اسلم وكان
يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه
وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان وهم الفصحاء

اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضته
ما اتى به والويتان بمثله بل عن فهم ارصفه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف بالعجم الكن
نعم قد كان سلمان او بلعام الرومى او كعيبر
او جبر او يسار على اختلافهم فى اسمه بين اظهرهم
يكلمونه مداعارهم فهل حكى عن واحد منهم شئ
من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك
وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده وشدة
طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فاخذ
عليه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحج به
على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان
يحرف به من اخبار كتبه لرغاب النبى صلى الله عليه
وسلم عن قومه ولو كثر ذلك واختلفوا فانه الى بلوغ
اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين اظهرهم برعاى صغره على عادة ابنائهم ثم
لم يخرج عن بلدهم الا فى سفرة او سفرتين لم يطل
فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف
الكثير بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفقة
عشيرته لم يغب عنهم ولو خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم او اختلاف الى حبر او قسر
او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
محجا ما اتى به فى معجز القرآن قاطعا لكل عذر

ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم وكرامته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة

والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له
ورؤيته كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل
الاية وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم
فثبتوا الذين امنوا وقال واذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الاية وقال
وَاِذْ صَرَفْنَا اِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْاٰنَ
الاية حدثنا سفين بن العاص الفقيه سماعا
عليه ثنا ابو الليث السمرقندى ثنا عبد الغافر
الفارسى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابن سفين
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابى ثنا شعبة
عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله
قال لقد راى من آيات ربه الكبرى قال راى
جبريل فى صورته له ستمية جناح والخبر
فى محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم
من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور
بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم جماعة
جماعة من اصحابه فى مواطن مختلفة فراى اصحابه
جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسئله
عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة

150

بن زيد وغيرهما عنده جبريل في صورة
دحيه ورأى سعد على يمينه وعلى يساره
جبريل وميكائل في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجل الملائكة حينها يوم بدر وبعضهم رأى
تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى ابو سفين بن الحارث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والارض يفعلون
لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن
الحصين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم
لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى
عبد الله بن مسعود الجن سمع كلامهم وتشبههم
برجال الرط وذكر ابن سعد ان مصعب
بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على
صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له
تقدم يا مصعب فيقول له لست بمصعب
فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده
عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فرد عليه فقال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله
من انت قال انا هامة بن الهيثم بن لاوذ بن
ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث

طويل

طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه
سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد
عند هدمه العزى السوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى
وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت
علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب
ملكا الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته وعلاماته رسالته
ما تزادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار

وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته
واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن
لؤي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم ومعرفة
من زاره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالم صاحب تبع من صفته وخبره وما في
من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه

العلماء وبيّنوه ونقله عنها ثقات من اسلم
منهم مثل ابن سلام وابني سعبة وابن
يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن
اسلم من علماء يهود وبحيرا ونصطور الحبشة
وصاحب بصرى وضفاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى
الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم
من علماء النصارى وقد اعترف بذلك
هرقل وصاحب رومه عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ
صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاوة والاخبار في هذا
كثيرة لا تنحصر وقد قرع يهود والنصارى
بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفت اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ولبهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة
على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته
وابدأ ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو
وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون
عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب

الديار

الديار وبند القتال وقد قال لهم
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهّا مثل شافع بن كليب
وسنق وسطيح وسواد بن قارب وخاقر
وافعى نجران وجدل بن جذل الكندي
وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يتعد كثرة الى
ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور
وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم
والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور
واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل ومن ذلك ما اظهره من الايات
عند مولده وما حكته امه ومن حضره

ط اي مما يدل على نبوته ورسالته

من العجايب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته
شاخصا ببصره الى السماء وما راته
من النور الذي خرج معه عند ولادته
وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص
من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر الا النور وقول الشفا بنت
عوف بن عبد ام عبد الرحمن بن عوف

لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور
الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئره
من بركته ودروره لبنها له ولبن شارفها
وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته
وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض
بحيرة طبريّة وخمود نار فارس وكان لها
الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمّه
ابي طالب واله وهو صغير شبعوا وروّوا
فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان
سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثاً ويصبح
هو صلى الله عليه وسلم صقيلاً دهيناً كحيلاً
قالت ام ايمن خاضنته ما رايته عليه السلام
شكى جوعاً ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً ومن ذلك
حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما فشاء عليه من بعض
الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما
خصّه الله به من ذلك وحماه حتى في سنّه
في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ
ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة
وتعرّى فسقط الى الارض حتى ردّ ازاره عليه

فقال

فقال له عمّه ما بالك قال اني نهيت
عن التعرّي ومن ذلك اظلال الله له بالغمام
في سفره وفي رواية ان خديجة ونساءها
رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرن
ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ
خرج معه في سفره وقد روى ان حليمة
رضي الله عنها رأت غمامة تظله وهو عندها
وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك
انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت
شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت
هي فاشرفت وتدلت عليه اغصانها بحيث
ماراه وميل في الشجرة اليه في الخبر الآخر
اطلته وما ذكر من انه كان لو ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لانه كان نوراً وان الذباب
كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تجيب الحلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه
بموته ودفنه اجله وان قبره في المدينة وفي
بيته وان بين بيته ومنبره روضة من
رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما
اشتمل عليه حديث الوفاة من كرامانه
وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده
على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك
الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله

وذابهم الذى سمعوه لا تنزعوا القميص
عنه عند غسله وما روى من تقرب الخضر
والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر
على اصحابه من كرامته وبركته فى حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته
فصل قال القاضى ابو الفضل قد اتينا
فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علاومات نبوته مقنعة فى واحد
منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى
ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفصل المقصد ومن كثير الاخبار
وغريبها على ما صح واشتهر او يسير من غريبه
مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد
فى جمهورها طلبا للاختصار ويجب هذا
الباب لو نقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل
على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل
بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبى معجزة
الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها
او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فان اردته فتامل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا القرآن

وكله

وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك
الكوثر اواية فى قدرها وذهب بعضهم الى
ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون
ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت
من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا
لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل
ما تحداهم به مع ما يظهر هذا من نظر وتحقيق
يطول بسطه واذا كان هذا فى القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة وينيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات
فتخرج القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد
منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه
وجوه اعجاز اخر من اخبار بعلوم الغيب
فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه
النجزية المخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها
بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب

التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد
يأخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الابواب
وعادل على امره مما اشرنا الى جملة يبلغ
نحو أمن هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته
صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل
كانت بقدرهم اهل زمانهم وبحسب الفن
الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
غاية علم اهله استحرت البهم موسى
بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم
وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اعني ما كان
الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم ولا انفكوا
عليه واتاهم ما لم يجتسبوه من احياء الميت
وابراء الاكمه والابرص دون معالجة
ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم
ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة
البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل
عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول
من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب

والاسلوب

والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في
المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب
الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن
والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدا العدو
فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب
عشراً ثم اخلتها من اصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون
السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة
والحوادث الماضية ما يخرج من تفرغ لهذا
العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها
في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة
بينة الحجة لكل امة ناتي لا يخفى وجه ذلك
على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الما
اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلو لم
عصر ولا زمن لا ويظهر فيه صدقه بظهور
مخبره على ما اخبر فيجد الايمان ويتظاهر
البرهان وليس الخبر كالعيان ولا المشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى
عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان

كل عندها حقاً وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا يبيد ولا ينقطع وآياته تتجدد ولا تنصرم ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الآيات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحياً اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعاً يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخييل فيه ولا التخيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد راى المعاندون لها اشياء طمعوا في تخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة

حبالهم

حبالهم وعصيهم وشبه ذلك مما يتخيله الناظر ويتخيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعراً وخطيباً بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول احتصر وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويفضي

وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعاً فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم وارضاهم بالبذل والجهد والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد بين اية التعجيز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب ابو المعالي الجويني وغيره

قال وهذا عندنا ابلغ فى خرق العادة
بالافعال البديعة فى نفسها كقلب العصا
حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر
بدأ ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك
بمزية معرفة فى ذلك الفن وفضل علم الى اذ يرد
ذلك صحيح النظر واما التحدى للخلق بين
من السنتين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعى
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق
عنها بمثابة ما لو قال نبى ايتان يمنع الله القيام
عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من بهرانية واظهر دلالة وبالله
التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه
ظهور ايته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء
البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة
فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم
وغيرهم من القبط وبنى اسرائيل وغيرهم لم يأتوا
بهذا السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون الهة ربتهم
وجوز عليهم السامرى ذلك فى العجل بعد
ايمانهم وعبد والمسيح مع جماعهم

على

على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يتكون فيه وقع
هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا
الذى هو ادنى بالذى هو خير والوزر على جاهليتها
اكثرها تعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله زلفا ومنهم من امن بالله وحده
من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل
عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول
بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم
لاول وهلة معجزته فامنوا به وازداد وكل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وهجروا
ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم
فى نصرته وانى فى معنى هذا بما يلوح له رونق
ويجب منه زيح لو احتيج اليه وحقق لكنا
قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك
وظهورها وبالله استعين

القسم الثانى
فيما يجب على الانام من حقوقه صلى الله عليه وسلم

قال الفقيه القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
فى اربعة ابواب على ذكرناه اول الكتاب

ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره
وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وثمرة

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه
ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به
وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فَآمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وقال
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وقال فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الآية فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين
لا يتم الايمان الا به ولا يصح اسلام الا بمعه
قال الله عز وجل وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً حدثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا
الامام ابو علي الطبري قال ثنا عبد الغافر
الفارسي قال ثنا ابن عمرويه قال ثنا ابن سفيان
قال ثنا ابو الحسين قال ثنا امية بن بسطام
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح عن العلاء
بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا

ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به
فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه والايمان بالنبي
صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالته
الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله
ومطابقه تصديق القلب بذلك شهادت
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع المصدق به
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الايمان به والمصدق له كما ورد في هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمداً رسول الله وقد زاده وضوحاً
في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وذكر
اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال
ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به عليه السلام
محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به
مضطر الى النطق باللسان وهذه الحالة
المحمودة التامة واما الحالة المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب

158

وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله
والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك عن
اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم تصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان
ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم والحقوا
بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار وفى
عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان
فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام
المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما ظهر
من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذكر
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق
بين القول والعقد ما جعل فى حديث جبريل
الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما
ان يصدق بقلبه ثم يحتم قبل اتباع
وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة
وراى بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله

صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من
كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر
سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه عند الله
ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا
الوجه الثانيه ان يصدق بقلبه ويطول
مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها
جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا
اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه
مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى
يقارن عقده شهادة لسانه اذ الشهادة انشاء
عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد
ولا بد من التصديق مع المهلة الابدية وهذا
هو الصحيح وهذه نبذة تقضى الى ممتنع من الكلام
فى الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة
فيهما والنقصان وهذا التحرى ممتنع على مجرد
التصديق لا يبصر فيه جملة وانما يرجع
الى ما زاد عليه من عمل او قد يفرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته وتصميم اعتقاد ووضوح
معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفى بسط
هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه كفاية
فيما قصدنا ان شاء الله فصل واما وجوب
طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه

159

فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك
مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله
والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وقال من يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين الاية وقال وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
طاعته ومن طاعته بطاعته ووعد على
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال
المفسرون والائمة طاعة الرسول في الزم
سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل
من رسول الا ليطاع باذن الله على من ارسله اليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله
في فرايضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع
الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا قال الستم قد ي يقال
اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية

والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقرائي عليه قال ثنا خاتم
بن محمد قال ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
قال ثنا محمد بن احمد قال ثنا محمد بن يوسف
قال ثنا البخاري قال ثنا عبدان قال اثنا
عبد الله قال اثنا يونس عن الزهري قال ثنا
ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد
عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني
ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول
من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته
امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله
تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول فمتنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيكم
عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه
ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى
قالوا ومن يابى يا رسول الله قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث
الاخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم

مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوماً
فقال يا قوم انى رايت الجيش بعينى وانى
انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا
وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل
من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى
وكذب بما جئت به من الحق وفى الحديث الآخر
فى مثله كمثل من بنى داراً وجعل فيها مأدبة
وبعث داعياً فمن اجاب الداعى دخل الدار
واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل
الدار ولم ياكل من المأدبة فالدار الجنة والداعى
محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمداً صلى الله
عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمداً صلى الله
عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل واما وجوب طاعته وامتثال سنته والاقتداء بهديه

فقد قال تعالى
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وقال فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وقال فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ الى قوله تسليماً
اى ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم اذا

انقاد وقال لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
الاية قال محمد بن على الترمذى الاسوة فى
الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد
من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين
عنه وقال سهل فى قوله تعالى صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال بمتابعة السنة فامرهم
تعالى بذالك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته فى الاية الاخرى
ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم
وما تنحت اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروى عن الحسن ان قوماً قالوا
يا رسول الله انا نحب الله وانزل الله تعالى
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
الاية وروى ان الاية نزلت فى كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وهذه
اشد حباً لله فانزل الله الاية وقال الزجاج
معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول

طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله
لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وقال
لحبت من الله عصمة وتوفيق ومن العبد
طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد
لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله
للعبد رحمته له وارادته الجميل له ويكون
بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري
فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة
العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا
ابو الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا
خاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني قال ثنا
ابو بكر الاجري قال ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي
قال ثنا داود بن رشيد قال ثنا الوليد
بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان
عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين

عضوا

عضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة زاد في حديث جابر بعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه
وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عايشة رضي الله عنها صنع رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيأ ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحمد الله تعالى ثم قال ما بال اقوام
ينتزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروى عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحدوده
وفهمه وحفظه جامع القرآن ومن تهاون
بالقرآن وحديث حشر الدنيا والاخرة امرت
امرت ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي
بالقرآن قال الله تعالى وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ الاية وقال صلى الله عليه وسلم
من اقتدى فهو مني ومن رغب عن سنتي
فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي

162

صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله
عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي
صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى
ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او
فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن
قال النبي صلى الله عليه وسلم عمل قليل في
سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
يمتسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه
وسلم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين
ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم
يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم
واصحابي وعن انس قال النبي صلى الله عليه
وسلم من احيا سنتي فقد احباني ومن احباني
كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من احيا سنة من سنتي فقد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص

من اجورهم

من اجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة
لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيأ

فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بسيرته وهديه

فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن
الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ
قال ثنا سعيد بن نصر قال ثنا قاسم بن اصبغ
ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح قال
ثنا يحيى بن يحيى قال ثنا مالك عن ابن شهاب
عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله
بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة
الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة
المسافر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله تعالى
بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم
شيأ فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن
عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق
الكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على
دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بها
مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه

جهنم وساءت مصيراً وقال الحسن بن ابي
الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في
بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل
العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب
عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرائض واللحن
اي اللغة لعماله وقال ان ناساً يجادلونكم بالقرآن
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب
الله وفي خبر حين صلى بذي الخليفة ركعتين
فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن
فقال له عثمان نراك انهى الناس عنه وتفعله
فقال لم اكن لادع سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر
ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب
عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابداً وما
على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان

مثله

مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك
اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة
ورقها فانا اقتصاداً في سبيل وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا
ان يكون عملكم ان كان اجتهاداً او اقتصاداً
ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب
بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يسأل بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة ويحلفهم
على البينة وما جرى عليه السنة فكتب
اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن
عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رحمه الله
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى
الحجر الاسود وقال انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورأى عبد الله
بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال
لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعله ففعله وقال ابو عثمان الجنيدي

من امر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق
بالبدعة وقال سهل المستري اصول مذهبنا
ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال
واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير
قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان
احمد بن حنبل رحمه الله قال كنت يوماً في جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستقبلت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام
الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة قائلاً
يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماماً يقتدى بك فلما اصبحت
قال لجبريل فصل ومخالفة امره وتبديل
سنته ضلالة وبدعة متوعد من الله عليه
بالعذاب والخذلان قال الله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله
بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي
عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو

القابسي قال ثنا ابو الحسن بن مسرور
الدباغ قال ثنا احمد بن ابي سليمان قال
ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى
المقبرة وذكر الحديث في قصة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال
فانادي بهم الا هلم الا هلم فيقال انهم
قد بدلوا بعدك فاقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً
وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال
من ادخل في امرنا ليس منه فهو رد وروى
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم متكئاً على اريكته ياتيه
الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول
لا ادري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه وزاد
في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال
عليه السلام وجئ بكتاب في كف كفي يقوم
حمقاً او قال ضلالاً ان يرغبوا عما جاءت به نبيهم
الى غير نبيهم وكتاب غير كتابهم فنزلت ولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب الاية قال صلى الله
عليه وسلم هلك المتطعون وقال ابو بكر رضي الله عنه

165

لَسْتُ تارِكًا شَيْئًا كانَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ
عليه وسلّم يعمل به الا عملت به انّى اخشى
ان تركت شيئا من امره ان ازيغ الباب
الثانى فى لزوم محبّته صلى الله عليه
وسلّم قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها الاية فكفى بها ذاحظا
وتنبيها ودلالة وحجّة على لزوم محبّته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقها
عليه السّلام اذ قرع الله من كان ماله واهله
وولده احبّ اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربّصوا حتّى يأتى الله بامره ثمّ فسقهم
بتمام الاية واعلمهم انهم ممّن ضلّ ولم يهده الله تعالى
حدّثنا ابو على الحسانى الحافظ فيما اجازنيهُ
وهو ممّا قرأته على غير واحدٍ قال ثنا سراج بن
عبد الله القاضى ثنا ابو محمّد الاصيلى ثنا المروزىّ
ثنا ابو عبد الله محمّد بن يوسف ثنا محمّد بن اسمعيل
ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن عليه عن عبد العزيز
صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلّم قال لا يؤمن احدكم حتّى اكون احبّ اليهُ
من ولده ووالده والنّاس اجمعين وعن ابى هريرة
نحوه وعن انس عنه صلى الله عليه وسلّم ثلاث
من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله

ورسوله احبّ اليه ممّا سواهما وان يحبّ
المرء لا يحبّه الّا لله وان يكره ان يعود فى الكفر
كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انهُ قال للنبىّ صلى الله عليهُ
وسلّم لانت احبّ الىّ من كلّ شىء الا نفسى الّتى
بين جنبىّ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم لا يؤمن
احدكم حتّى اكون احبّ اليه من نفسه فقال
عمر والّذى انزل عليك الكتاب لانت احبّ
الىّ من نفسى الّتى بين جنبىّ فقال له النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم الان يا عمر قال سهل من لم يرد ولاية
الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عليه فى جميع
الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السّلام
لا يذوق حلاوة سنّته لان النبىّ صلّى الله عليه
وسلّم قال لا يؤمن احدكم حتّى اكون احبّ اليهُ
من نفسه الحديث فصل فى ثواب محبّتهُ
صلّى الله عليه وسلّم حدّثنا ابو محمّد بن
عتّاب بقرائتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمّد
ثنا ابو الحسن على بن خلف ثنا ابو زيد المروزىّ
ثنا محمّد بن يوسف ثنا محمّد بن اسمعيل ثنا عبدان
ثنا ابى ثنا شعبة عن عمرو بن مرّة عن سالم بن
ابى الجعد عن انس رضى الله عنه انّ رجلا اتى
النبىّ صلّى الله عليهُ وسلّم فقال متى السّاعة
يا رسول الله فقال ما اعددت لها قال ما اعددت

من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني
احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت
يا رسول الله اني احبك فقال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين
فقال من احبني واحب هادين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة
ورفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك
فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقراها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ما يطرف
فقال ما بالك فقال بابي انت وامي يا رسول الله

اتمتع

اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفصيله فانزل الله الاية وفي
حديث انس من احبني كان معي في الجنة **فصل
فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له** حدثنا
القاضي الشهيد قال ثنا العذري ثنا الرازي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة
ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكون بعدي
يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن
ابي ذر تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم
عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاصي ما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت
ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى
اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول
هم اصلي وفصلي واليهم نحن قلبي طال شوقي
اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم
وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق

لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه
يعني اياه ابا لمخافة وذلك ان اسلام ابي طالب
اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قاله للعباس ان اسلم احب الي من ان اسلم
الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى
عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار
قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحب
قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا
وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى
مصباحا في بيت وآنا عجوز تنفش صوفا
وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون
الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار تغتني النبي صلى الله
عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح
يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر بلال

هل تجمعني وحبيبي الدار

نادت

نادت امراته واحرباه فقال واطرباه غدا
القي الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة
قالت لعايشة اكشفي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت
ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك
بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان في مكانك
تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله
ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة وانى جالس في اهلي فقال
ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا
كحب اصحاب محمد محمدا وعن ابن عباس
كانت المرأة اذا اتت النبي صلى عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بعض زوج ولا رغبة
بارض دون ارض ولا خرجت لاجتاله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر
وقال لكنت والله ما علمت صواما قواما
تحب الله ورسوله **فصل في علامة محبته**
صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيأ
آثره وآثر موافقته والالم يكن صادقا في محبته
وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله
عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه
واولها الاقتداء به واستعمال سنته

واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بادابه في عسره
ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله
تعالى والذين تبوأ الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة واسخاط العباد في رضا الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ قال ثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي
السنجي قال ثنا محمد بن محبوب قال ثنا
ابو عيسى قال ثنا مسلم بن خالد قال ثنا محمد بن
عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد
عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بني ان قدرت ان تمسي وتصبح ليس في قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك
من سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني
كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة
كان فهو كامل المحبة لله ولرسوله ومن خالفها

في بعض

في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله
عليه وسلم في الذي حده في الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يوتى به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله
ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا
اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل
حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث
الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا
يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه
وتقدم قول بلال وكما قال عمار قبل قتله
وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن
علاماته مع كثرة ذكره وتعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكماش
مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كانا اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له
وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا و
توقيرا ومنها محبة من احب النبي صلى الله
عليه وسلم ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته
من الانصار والمهاجرين وعداوة من عاداهم

وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئاً
احب من يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم
في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما
وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال
من احبها فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله وقال صلى الله عليه وسلم الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضاً فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال
في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
وقال لعايشة في اسامة بن زيد احبيه فاني
احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فالحقيقة من احب شيئاً احب كل شيء
يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات
وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي
صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء من حوالي
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ
وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس
وابن جعفر لما اسلمي وسألوها ان تصنع لهم

مما كان

مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة اذ راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغضه الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من
خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله
كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد
قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام
قد قتلوا اخوانهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم
في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن
ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها
ان يحب القرآن الذي اتى به صلى الله عليه
وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى
قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب
سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن
عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة
حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة
وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة
بغض الدنيا الا يدخر منها الا زاداً وبلغة

170

الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد
عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن
فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه
لهم وسعيه فى مصالحهم ودفع المضار عنهم
كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا
رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها
فى الدنيا وايثاره الفقر وانصافه به وقد قال
صلى الله عليه وسلم لابى سعيد الخدرى
ان الفقر الى من يحبنى منكم اسرع من السيل
من اعلا الوادى او الجبل الى اسفله وفى حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبى صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله انى لاحبك قال
انظر ماذا تقول قال والله انى لاحبك ثلاث مرات
قال ان كنت تحبنى فاعد للفقر تجفافا فذكر
نحو حديث ابى سعيد بمعناه **فصل فى معنى
المحبة للنبى صلى الله عليه وسلم وحقيقتها**
اختلف الناس فى معنى تفسير محبة الله ومحبة
النبى صلى الله عليه وسلم فكثرت عباراتهم
فى ذلك وليست ترجع فى الحقيقة الى اختلاف
مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان
المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعونى

فاتبعونى الاية وقال بعضهم محبة الرسول
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد
لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال
بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب
يحب ما احب ويكره ماكره وقال آخر المحبة
ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل لما يوافق الانسان وتكون
موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها
لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة
عقله وقلبه ومعانى باطنة شريفة كمحبة
الصالحين والعلما واهل المعروف والمأثور
عنهم السيرة الجميلة والافعال الحسنة
فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال
هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة فى آخرين ما يؤدى الى الكلاء على الاوطان
وهتك الحرم واحتزام النفوس ويكون محبة
اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها

فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب
كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت
انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر
وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها
قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك
وقد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه
بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشراً ونذيراً وداعيا الى الله باذنه وتلوة
عليهم اياته وتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة
وهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان
اجل قدراً واعظم خطراً من احسانه الجسيم المبين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من افضاله
على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية
ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم
والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم
السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه
وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعاً مما قدناه
من صحيح الآثار وعادة وجلة بما ذكرناه انفاً

افاضته

لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال
فاذا كان الانسان يجب من منحه في دنياه مرة
او مرتين معروفاً او استنقذه من هلكة
او مضرة مرة التأذي بها قليل منقطع ثم
منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يعني
من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يجب
بالطبع ملك حسن سيرته او حاكم لما يورث
عنه من قوام طريقته او قاص بعيد الدار
لما يشاد من علمه او كره شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال احرى بالحب
واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه
في صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره
عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا
لله ورسوله اذا كانوا مسلمين مخلصين
في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد
بقرائي عليه قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا

يوسف بن عبد الله قال ثنا ابن عبد المؤمن
قال ثنا ابو بكر النمار قال ثنا ابو داود قال
ثنا احمد بن يونس قال ثنا زهير قال ثنا سهيل
بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم
قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها
عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها
في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل
اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي
اسحق الخفاف النصح فعل الشئ الذي به
والملامة مأخوذ من النضاح وهو الخيط
يحاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز
عليه والرغبة في محبته والبعد من مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان
والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده

وتعظيمه له وتفهمه والتفقه فيه والذب
عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له
فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال
ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا
واحياء سنته بالطلب والدعاء عنها ونشرها
والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال
ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة
الى الله والى كتابه والى رسوله والبها والى
العمل بها وقال احمد بن محمد بن مفرض القاضي
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابو بكر الاجري وغيره النصح لله
يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته
ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه
ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل
النفوس والاموال دونه كما قال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال
وينصرون الله ورسوله الاية واما نصحه
المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعليم سنته
والتفقه في شريعته ومحبة اهل بيته واصحابه

173

ومجانبة من رغب عن سنته والخوف
عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على
امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه
والصبر على ذلك ففعل ما ذكره تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير
الثوار المعروف بالصفار رئى في النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال اغفر لي فقيل
بماذا قال صعدت ذروة جبل فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فمنيتا في
حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي
واما النصح لائمة المسلمين فظاهر عنهم في الحق
ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على
احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه ولزوم
عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم
في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه
غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره

وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها الذين
امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الى ثلاث آيات وقال لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فاوجب تعالى توقيره وتعزيره والزام اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال
المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
تنصروه وقال الطبري تعينوه وقرئت
تعزروه بزايين من العز ونهى عن التقدم
بين يديه بالقول وسوء الادب بسببه
بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار
ثعلب وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل
ان يقول واذا قال فانصتوا له واسمعوا
ونهوا عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا
بشيء من قال او غيره من امر دينهم الا بامره
ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله
ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه بعبد

174

في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه
وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته
وقيل كما ينادي بعضهم بعضاً باسمه قال ابو محمد
مكي اي لا تنشابقوه بالكلام وتغالطوا له
بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف
ما يجب اي ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً على احد
التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا
ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد
بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم
الله بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين
ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطب النبي
صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت

هذه الاية اقام في منزله وحشي ان يكون
حبط عمله واتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انت ترضى
ان تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة
فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر رضي الله
عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك بعد هذا ابداً الا كاخي السرار وان عمر
كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية
حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة
واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه
وروى صفوان بن غسال بينا النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له
جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في
الانصار نهوا عن قولها تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم

قال

وتجهيلا له لان معناها ارعنا نزعك فنهوا
عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا
برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تقرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة
ومنعا للتشبيه بهم في قولها لمشاركة اللفظة
وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه
عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا
القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي
سماعي عليهما في آخرين قالوا ثنا احمد بن عمر
ثنا احمد بن الحسين ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم
بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد
ثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب
عن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق
ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه
ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم

اليه

اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران
اليه وينظر اليهما يتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث
صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته
قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه ما تو
الا ابتدروا ووضوءه لو كادوا يقتتلون عليه ولا تسقط
بصاقا ولا نخامة الا تلقوها باكفهم ودلكوا بها
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة
الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا
تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه
النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال اي معشر
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل
محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط
يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت وما
ان يلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف
اصحابه فما يريدون ان يقع شعرة الا في يد رجل
ومن هذا لما اذنت وريش لعثمان في الطواف بالبيت
حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم

اليهم في القضية ابا وقال ما كنت لافعل
حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله
عن من قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه
فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث
المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يفرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت اريد ان اسئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الامر فما اخره سنين من هيبته
فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازمة
كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه
السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه
وسيرته ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهل بيته
وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل
مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع
ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته
واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه

ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي
ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الاسعردي وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا
ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال ثنا
ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب
ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا
المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح
قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا عبد الله استقبل القبلة
وادع ام استقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله
يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله

177

قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
الاية قال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني
ما حدثكم عن احد الا وايوب افضل منه قال
وحج حجتين قلت ارمعه ولا اسمع منه غير انه
كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكا حتى
ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجللته للنبي
صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب
بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم يتغير لونه ويحنى حتى يصعب ذلك
على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رايت ما انكرتم علي ما ترون لقد
ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء
لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى
ترحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد الصادق
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا
واما صامتا واما يقراء القران ولا يتكلم
فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن
بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم

فنظر

فنظر الى لونه كانه نزف منه الدم وجف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري
وكان من اهناء الناس واوقرهم فاذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرف
ولا عرفه ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان
من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بكا فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه وروى عن قتادة انه كان
اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما
كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
حياً وميتاً سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له
من الانصات عند قراءة الحديث ما يجب له
عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم فصل
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم

178

وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
ثنا ابو الفضل ابن خيرون ثنا ابو بكر البرقاني
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن
مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد
بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلف الى ابن مسعود
سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال
هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او
ما قربت من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي
رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه
وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم
فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل
الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك
لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر

عنده

عنده حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك
بن انس لا يحدث بحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له
وحكاه مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا
حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضاء وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب
فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى
الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول
لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل
فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس
ثيابا جددا ولبس ساجه وتعجم ووضع على
راسه رداه وتلقا له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال

وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم
او مستعجل وقال احب ان افهم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث
الا على طهارة متمكنا قال ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا الحديث على غير وضوء ونحوه
عن قتادة وكان الاعمش اذا حدث على غير وضوء
تيمم وقتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء
قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس
وتفرق عنه الناس قلت يا ابا عبد الله لقد
رأيت منك اليوم عجبا قال نعم صبرنا لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن مهدي مشيت مع مالك يوما الى العقيق
فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت
في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم
فاركبه فقيل له انه قاض قال القاضي
احق من ادب وذكر ان هشام بن العازي سأل
مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين

سوطا

سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا
فقال هشام وددت لو زادني سياطا وترك
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران كان قتادة
يستحب ان لا يقرأ احاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير
وضوء تيمم فضل ومن توقيره صلى الله
عليه وسلم وبره بآله وذريته وازواجه
المؤمنين ازواجه كما حض عليه السلام
وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم
قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه
امهاتهم الاية اخبرنا الشيخ ابو محمد
بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله
ثنا ابو الحسن المقرئ الغرغاني حدثتني ام القاسم
بنت الشيخ ابي بكر الحفاف قالت حدثني
ابي قال ثنا حاتم وهو ابن عقيل ثنا يحيى هو
ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه
عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن
زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا فقلنا
لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل

عقيل وال العباس وقال عليه السلام
انى تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتى اهل بيتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما
وقال عليه السلام معرفة ال محمد براة من النار
وحب ال محمد جواز على الصراط والولاية لال
محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هى معرفة مكانهم من النبى صلى الله عليه وسلم
واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن ابى سلمة لما نزلت انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك
فى بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا
فخللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم
هولاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وعن سعد بن ابى وقاص لما نزلت اية المباهلة
دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا
وحسينا وفاطمة وقال اللهم هولاء اهلى
وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت
مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مومن ولا يبغضك
الا منافق وقال للعباس والذى نفسى بيده
لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله
ومن اذى عمى فقد اذانى وانما عم الرجل صنو ابيه
وقال للعباس اعد على يا عم مع ولدك فجمعهم واحللهم

بملائة

بملائة وقال هذا عمى وصنو ابى وهولاء
اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم
فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت
امين امين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن
ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما وقال ابو بكر
رضى الله عنه ارقبوا محمدا فى اهل بيته وقال
ايضا والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الى ان اصل من قرابتى
وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وحسينا وقال من احبنى واحب هذين
واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان
معى فى درجتى يوم القيمة وقال صلى الله عليه
وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا
قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام
لام سلمة لا توذينى فى عايشة وعن عقبة بن
الحارث رايت ابا بكر رضى الله عنه وجعل الحسن
على عنقه وهو يقول بابى شبيه بالنبى ليس
سبيها لعلى وعلى يضحك وروى عن عبد الله بن
حسن بن قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة
فقال لى اذا كانت لك حاجة فارسل الى واكتب
فانى استحيى من الله ان يراك على بابى وعن الشعبى
صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له
بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال

زيد حل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا
نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال
هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر
محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقبل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر راسه
ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي
دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها
حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وترك
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
لابيه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن
زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه
لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له
لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منك وابوه احب اليه منك فاثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي
وبلغ معاوية ان كاتبا لابن ربيعة يشبه برسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار
قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما ضربه
جعفر بن سليمان ونال وحمل مغشيا عليه
دخل عليه الناس فافاق وقال اشهدكم اني جعلت
ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال اني خفت
ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه
ان يدخل بعض له النار بسببي وقيل ان المنصور
افاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته
في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لولا اني ابو بكر وعمر وعلي
لبداة بحاجة على قبلها لقرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض
احب الي من ان اقدمه عليها وقيل لابن عباس
مات فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم فنجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال
اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رأيتم اية فسجدوا واي اية اعظم من ذهاب
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي عليه السلام
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي
صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفي وفدت على ابو بكر وعمر فصنعا بها مثله

فصل ومن توقيره وبره عليه السلام

توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم
والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في
واحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر
احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء
ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار الى آخر السورة وقال
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الاية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم وقال رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا
القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل ثنا
ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان
بن عيينه عن زايدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن
حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقتدوا

اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذا الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث
جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم
اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير
اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب
عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال
مالك بن انس وغير من ابغض الصحابة وسبهم
فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر
والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم
الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان

من كانا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر
فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء
بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى
ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء
حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث
خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له
ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان
وعن علي وعن طلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله
غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد
منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة
غدا وقال رجل للمغافي بن عمران ابن عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله
عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان

يبغض

يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام
في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله
منه يوشك ان يأخذه وعنه عليه السلام
من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة
وقال من حفظني في اصحابي وردت على الحوض
ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم ير
الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب
الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر
كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي بهم
وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب
ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له
شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل
ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره **فصل ومن اعظامه واكباره**
واعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده
وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما
لمسه عليه السلام اوعرف به وروي عن
صفية بنت بجدة قالت كان لابي محذورة

في مقدم راسه اذا قعدوا رسلها اصابت
الارض فقيل الا تحلقها فقال لم اكن بالذي
احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد
شعرات من شعره عليه السلام فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر
عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من
قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين وروى ابن عمر واضعاً يده
على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر
ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك
رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول
استحيي من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروى انه
وهب للشافعي كرايما كثيراً كان عنده فقال له
الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا
الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد
بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة
قال مسست القوس بيدي الا على طهارة
منذ لمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
القوس بيده وقد افتا مالك فيمن قال تربة
المدينة ردية بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه

وكان له

وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب
عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام
في المدينة من احدث فيها حدثاً او اوى محدثاً
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وحكى ان جهجاها
الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه
وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول
وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذباً
فليتبوا مقعده من النار وحديث ان ابو الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زايراً وقرب من بيوتها
ترجل ومشا باكياً منشداً نظم

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا . فواداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا على الاكوار نمشي كرامة . لمن بان عنه ان يلم ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلاً

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر . قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمداً . فظهورهن على الرجال حرام
وتبنا من خير من وطي الثرا . فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشياً فقيل له في ذلك
فقال العبد الابق لا ياتي الى بيت مولاه راكباً

لو قدرت ان أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة وضحت عرضها بالتقديس
والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر
وانتشرت عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس ايات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت
النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة
واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها
وتشم نفحاتها وتقبل ربوعها وجداراتها نظم

يا دار خير المرسلين ومن به • هدى الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهدان ملأن محاجري • ومن تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات
لولا الاعادي والعوادي زرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات
اذ كان من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى

ان الله

م س

ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون
على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته
يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم
فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة
الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم
اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري
الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة
وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي
ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة
ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي
ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه
وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله
عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها
السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا
كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك

ورعايتك متولّ له وكفيل به ويكون
هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام
بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
فى انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً

فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت

لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة
والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى
ابو جعفر الطبرى ان محل الاية عنده على الندب
وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه الذى يسقط به الحرج وآثم
ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا
ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام
وشعار اهله قال القاضى ابو الحسن بن القصار
المشهور من اصحابنا ان ذلك واجب فى الجملة
على الانسان وفرض عليه ان يأتى بها مرة
من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضى
ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا
على نبيه ويسلموا تسليماً ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها
قال القاضى ابو محمد بن نصر الصلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة قال القاضى

ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك
واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة
يعقد الايمان لا يتعين فى الصلاة وان من
صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض
عنه وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى
امر الله به ورسوله عليه السلام هو فى الصلاة
وقالوا واما فى غيرها فلا خلاف انها غير واجبة
واما فى الصلاة فحكى الامام ابو جعفر الطبرى
والطحاوى وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد غير واجبة
وشذ الشافعى فى ذلك فقال من لم يصل على
النبى صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر
وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى
عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له فى هذا
القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ انكار هذه
المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة
وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبرى
والقشيرى وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلى احد صلاة الا صلى فيها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك
ذلك تارك فصلاته مجزية فى مذهب مالك

187

واهل المدينة وسفيان الثورى واهل الكوفة
من اصحاب الرأى وغيرهم وهو قول الجل اهل
العلم وحكى مالك وسفيان انها فى التشهد
مستحبة وان تاركها فى التشهد مسيء وشذ
الشافعى فاوجب على تاركها فى الصلاة الاعادة
واوجب سجود السهو مع تعمد تركها دون النسيان
وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم فريضة قال
ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة قاله
محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار
وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة
فى الصلاة كقول الشافعى وحكى ابو يعلى
العبدى المالكى عن مذهب فيها ثلاثة اقوال
فى الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد
خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره
الشافعى فى هذه المسئلة قال الخطابى وليست
بواجبة فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فرايض الصلاة على السلف
الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه وكذلك
الناس عليه فى هذه المسئلة جدا وهذا تشهد
ابن مسعود الذى اختاره الشافعى وهو الذى
علمه النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة

على النبى

على النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من
روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم
كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى
سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله
بن الزبير لم يذكروا فيه الصلاة على النبى صلى الله
عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان
النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما
يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابى سعيد
وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر
كما تعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفى حديث لا صلاة
لمن لم يصل على قال ابن القصار معناه كاملة
اولم يصل على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث
كلهم رواية هذا الحديث وفى حديث ابى جعفر
عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى
لم تقبل منه قال الدارقطنى الصواب انه
من قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين لو صليت
صلاة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه
وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل المواطن التى يستحب فيها الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويرغب من ذلك فى تشهد الصلاة كما قدمناه

وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا
القاضي ابو علي رحمه الله بقرائتي عليه قال ثنا
الامام ابو القاسم البلخي قال ثنا الفارسي عن
ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب
عن ابي عيسى الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان
ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح
حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمر بن مالك المعافري
اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلوته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له
ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثناء
عليه بما هو اهله ثم ليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير
هذا السند بتحميد الله وهو صحيح وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة
معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله
منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه
وقال وعلى آل محمد وروى ان الدعاء محجوب
حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله
شيئا فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله

ثم يصلي

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليسال حاجته فانه اجدر ان ينجح وعن جابر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعلوني
كقدح الراكب فان الراكب يملاه قدحه ثم
يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب
شربه او توضوء توضا والا اهراقه ولكن
اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب
واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته
فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب
والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب
بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء
بين الصلاتين على لا يرد وفي حديث اخر
كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاء الصلوة
على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي
رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب
دعائي ثم ابتداء بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فتقول اللهم انا نسالك ان تصلي
على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل
ما صليت على احد من خلقك امين ومن مواطن

الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه وكتابه
او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم
انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره
ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال
لا يصلي عليه الا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل
فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد
ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية لله مع الله
وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا
وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة
عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة عليه
والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله
ويتبارك عليه وعلى اله ويسلم عليه وعلى اله
تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرج يقول مثل ذلك
ويجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن
دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم

قال

قال اذا لم يكن في البيت احد فقيل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت
ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن
في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد فقل
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج
ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله
عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاحاديث
في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا
الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها
من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها
عمل الامة ولم تتركها الصلاة على النبي واله
في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن
هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية
بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض

ومنهم من يختم به ايضاً الكتب وقال عليه السلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمه
بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء
والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان
يقول ذالك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم
واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك
قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء
عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند
سلامهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي
الانسان عند سلامة كل عبد صالح في السماء

والارض

والارض من الملائكة وبني ادم والجن قال
مالك في المجموعة واجب للماموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم **فصل في كيفية الصلاة عليه
والتسليم** حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
بقراتي عليه ثنا ابو الاصبغ القاضي عيسى بن
سهل ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن
واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى
ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه
عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد
الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على ال ابراهيم وبارك على
محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال
ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن
ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابراهيم
وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وال محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة

بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر
معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله النميري
سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي
بقرائي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله سعدون
الفقيه قال ثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله
الحاكم عن ابي بكر بن دارم الحافظ عن علي بن احمد
العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن
عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند
رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن
على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد
وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى
علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبي وازواجه وامهات المؤمنين وذريته و
واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك
فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي
كان على بعلتنا الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في فرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس الا الله نصل
باهله اسبابه هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك
المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة

اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك وهبات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول
اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه
لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتغائك
مقبول الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق
عدل وخطة فضل وبرهان عظيم وعنه
ايضاً فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية لبيك
اللهم ربى وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ
يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول
رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك
باذنك السراج المنير عليه السلام وعن عبد الله
بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد
مجيد وكان الحسن البصرى يقول من اراد
ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه
واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره واشياعه ومحبيه وامته وانصاره
وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم
تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وانه سؤله فى الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم
وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول
فى دعائه اللهم اعط محمداً افضل ما سئالك
لنفسه واعط محمداً افضل ما سالك له احد
من خلقك واعط محمداً افضل ما انت مسئول
اليوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول
اذا صليتم على النبى صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم بارك على محمد

وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلاة
وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير
وقوله والسلام كما علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وفي تشهد على السلام على نبي الله السلام
على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله
السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر
لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا رحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا
الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث
الصلاة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة
ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه
لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة
والبركة التي يختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة
على النبي اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت
على ابراهيم وال ابراهيم ولم يات هذا في حديث صحيح

وحجة قوله في السلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل
في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه
والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث
ثنا ابو بكر بن معوية ثنا النسائي ثنا سويد بن
نصر ثنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال
اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن
بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة
صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه
عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن ابن
عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال
من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن

بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل
فقال لي ابشر يا ان الله يقول من سلم عليك
سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية ابو هريرة ومالك بن اوس
بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد
بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل
المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي
وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه
السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن
عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك اوليكثر وعن ابي
بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله
اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي
قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت

فهو خير

فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال يا رسول الله فاجعل لك صلاتي
كلها قال فاذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن
ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فقلت له
فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى يعتني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
صلاة الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله قال قال لي النبي صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
ات محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم
القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع
المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت
بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي
بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا
بكثرة صلاتهم علي وفي اخبار الحاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن

ابو بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
امحق كالذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من
لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وامته
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا
ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي
قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب
ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا
ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ
قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابواه
عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
واظنه قال احدهما وفي حديث احمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسئل له معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله
عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سمعت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله
قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه
او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن

ابي طالب

ابي طالب عنه عليه السلام انه قال
ان البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن
جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل
علي اخطى به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا
ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة
ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن
ابي هريرة من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة
وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر
عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على
النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال

اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم
مرة في المجلس اجزاءه ما كان في ذلك المجلس
فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة
من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا
ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسه
ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة
عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن
قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله
علي روحي حتى ارد عليه عليه السلام وذكر
ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي
عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
وعن ابي مسعود ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه
عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة فانه يوتى به منكم في كل جمعة
وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت
صلاته علي حين يقرغ منها وعن الحسن عنه
عليه السلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان
صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة
محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم

ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي
حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي
اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان
صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك افتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن
ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الاغر
واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم فان الارض
لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي
الا احتملها ملك حتى يؤديها الي ونسبته حتى انه
ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل في الامر
في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء
عليهم السلام قال القاضي وفقه الله
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن
ابن عباس انه لا يجوز الصلاة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم وروى عنه لا ينبغي الصلاة

على احدٍ الا على النبيين وقال سفيان يكره
ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض
شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى
على احدٍ من الانبياء سوى محمد عليه السلام
وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك
في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير
الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به
قال يحيى بن يحيى لست احد بقوله ولا بأس
بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم
واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه
وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقاً
عن ابي عمران الفاسي روى عن ابن عباس رضي الله
عنه كراهية الصلاة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى
وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فالله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس
لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع
منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال

خذ من اموالهم

خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وكان
اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على
ال فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي اخر
وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل
ال بيته وقيل الاتباع هم الرهط والعشيرة
وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل
اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية
انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد
قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد
بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته
على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على ال محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض
ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو
الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه
السلام لقد اوتي مزماراً من مزامير ال داود
يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي
في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ

من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية
غيره ويدعوا لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وروى ابن وهب عن انس بن مالك كانوا يدعوا
لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات فهو ابرار الذين يقومون
بالليل ويصومون بالنهار قال الفقيه القاضي
والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه
ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي
عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند
ذكرهم بل هو شئ يختص به الانبياء توقيرا لهم
وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه
والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره
كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يزاحمه
غيرهم سواهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال
والتابعين لهم باحسان رضي الله عنهم وقد قال
تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم
ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن بمعروف في
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثه الرافضة

والمتشيعة

والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه
باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما انفردوا به
من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى
الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام المظفر
الاسفرايني من شيوخنا **فصل في حكم زيارة**
قبره عليه السلام وفضيلة من زاره
وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا وزيارة
قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجتمع
عليها وفضيلة مرغب فيها وروى عن ابن عمر
قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني
في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له
شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني

ابو محمد وثبت وورد ابن حلة لم

اي ناديا ذلك الجناب وطالبا للثواب
ليس لم غرض اخر في هذا الباب

وجواز ذلك ثبت وورد في حديث

199

بعد موتی فکما تمنازارنی فی حیاتی وکره مالک
ان یقال زرنا قبر النبی صلی الله علیه وسلم
وقد اختلف فی معنی ذلک فقیل کراهة الاسم
لما ورد من قوله علیه السلام لعن الله زوارات
القبور وهذا بردة قوله نهیتم عن زیارة القبور
فزوروها وقوله من زار قبری فقد اطلق اسم الزیارة
وقیل ذلک لما قیل ان الزایر افضل من المزور
وهذا ایضاً لیس بشئ اذ لیس کل زایر بهذه الصفة
ولیس عموماً وقد ورد فی حدیث اهل الجنة زیارتهم
لربهم ولم یمنع هذا اللفظ فی حقه تعالی وقال
ابو عمر ان انما کره مالک ان یقال طواف الزیارة
وزرنا قبر النبی صلی الله علیه وسلم لاستعمال
الناس ذلک بعضهم لبعض وکره تسویة النبی
صلی الله علیه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وقد
بان یقال سلمنا علی النبی صلی الله علیه وسلم
وایضاً فان الزیارة مباحة بین الناس وقد
شد الرحال الی قبره علیه السلام یرید بالوجوب
هنا وجوب ندب وترغیب وتاکید الی الاولی
عندی ان منعه وکراهة مالک له لاضافته
الی قبر النبی صلی الله علیه وسلم وانه قال زرنا
النبی لم یکرهه لقوله علیه السلام اللهم
لا تجعل قبری وثنا یعبد بعدی اشتد غضب الله
علی قوم اتخذوا قبور انبیائهم مساجد فحمی اضافته

هذا

هذا اللفظ الی القبر والتشبه بفعل الیهود
قطعاً للذریعة وحسماً للباب قال اسحق
ابراهیم الفقیه ومما لم یزل من شان من حج المزور
بالمدینة والقصد الی الصلاة فی مسجد رسول الله
صلی الله علیه وسلم والتبرک برؤیة روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس یدیه
ومواطئ قدمیه والعود الذی کان یستند
الیه وینزل جبریل بالوحی فیه علیه وعلی عمره
وفضده من الصحابة وائمة المسلمین والاعیان
بذلک کله وقال ابن ابی ذئب سمعت بعض
من ادرکت یقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبی
صلی الله علیه وسلم فتلا هذه الایة ان الله
وملائکته یصلون علی النبی ثم قال صلی الله علیک
یا محمد من یقولها سبعین مرة ناداه ملک
صلی الله علیک یا فلان ولم تسقط له حاجة
وعن یزید بن ابی سعید المهدی قدمت علی عمر
بن عبد العزیز فلما ودعته قال لی ایک حاجة
اذا اتیت المدینة ستری قبر النبی صلی الله علیه
وسلم فاقرء منی السلام قال لغیره وکان یرید
الیه البرید من الشام وقال لبعضهم رایت
انس بن مالک انی قبر النبی صلی الله علیه وسلم
فوقف فرفع یدیه حتی ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم علی النبی صلی الله علیه وسلم ثم انصرف

200

قال مالك فى رواية ابن وهب اذا سلم على
النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه
الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس
القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان يقف
عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعوا ولكن
يسلم ويمضى قال ابن ابى مليكة من احب ان يقوم
وجاه النبى صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذى فى القبلة عند القبر على راسه وقال نافع
كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر
يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى السلام
على ابى بكر السلام على ابى ثم ينصرف وفى الموطا
من رواية يحيى بن يحيى الليثى انه كان يقف على قبر
النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى وعلى
ابى بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبى يدعوا
لابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته قال فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر
قال القاضى ابو الوليد الباجى وعندى انه
يدعوا للنبى بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر
كما ورد فى حديث ابن عمر من الخلاف قال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله والسلام
على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى

وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك انك
على كل شئ قدير واحفظنى من الشيطان
الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهى
ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر محمد الله فيها وتسأله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت
ركعتاك فى غير الروضة اجزتاك وفى الروضة
افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتى
ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى
على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا
متوقرا فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك وتسلم
على ابى بكر وعمر وتدعوا لهما واكثر من الصلاة
فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالليل
والنهار ولا تدع ان تاتى مسجد قباء وقبور
الشهداء قال مالك فى كتاب محمد وتسلم على
النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج
يعنى فى المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر
وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبى صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك

201

واذا خرجت فصل على النبى صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك
وفى رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه
ويقول اذا خرج اللهم احفظنى من الشيطان
الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى
ربنا توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك
وعن فاطمة ايضا كان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية
حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفى رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
اللهم افتح لى ابواب رحمتك ويسر لى ابواب
رزقك وعن ابى هريرة اذا دخل احدكم المسجد
فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لى وقال مالك فى المبسوط وليس
يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه
ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر

ان يقف

ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم
فيصلى عليه ويدعو له ولابى بكر وعمر
فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدرون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك فى اليوم
مرة او اكثر وربما وقفوا فى الجمعة او فى الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن احد
من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا اصلح
اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى
عن اول هذه الامة او صدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر
او ارادة قال ابن القاسم ورات اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا
قال وذلك رأى قال الباجى ففرق بين
اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا
لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام
اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال
لا تجعلوا قبرى عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد
الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا
يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية
يبدأ بالركوع قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله

عليه وسلم واجب مواضع الثقل فيه مصلى
النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق
واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء احب الى من التنفل
في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة
وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة وقد
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال هو مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن
عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد
الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد
الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود
ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد
بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

عند دخول المسجد وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم قال مالك رحمه الله وسمع عمر بن
الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد وعا
بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لوكنت من هاتين القريتين لاريتك
ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن
مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع
الصوت ولا لشيء من الاذى وان ينزه عما كره
قال الفقيه القاضي حكا ذلك كله القاضي
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون
ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي
اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين
فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما تحضر
المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت
بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام
ومسجد منا قال ابو هريرة عنه عليه السلام
صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي

203

اختلف الناس في هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى
الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول افضل
من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة
الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه
بدون الف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب
صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة
فيما سواه فناف في فضيلة مسجد الرسول عليه
السلام بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا
مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمنا
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر
المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى
تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب
وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الشافعي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام
افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث
ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل
من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى

قتادة مثله فيا في افضل الصلاة في المسجد
الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل
بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي
الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة
وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو
في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا
الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة
خير من جمعة ورمضان خير من رمضان
وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان
بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد
ومنبري على حوضي وفي حديث اخر ومنبري
على ترعة من ترع الجنة قال الطبري
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت
سكناه على الظاهر مع انه روى ما بيتيه
بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث
كما روى بين قبري ومنبري قال الطبري
اذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو في بيته

وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه
منبره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو ظاهر
والثانى ان يكون له هنالك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده الملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض
الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك
وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون
فى الجنة بعينها قاله الداودى وروى ابن
عمر وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال فى المدينة لا يصبر على لاوائها
وشدتها احد الا كنت له شهيداً او شفيعاً
يوم القيمة وقال فيمن تحول عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة
كالكير تنفى خبثها وتصفى طيبها وقال لا يخرج
احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيراً
منه وروى عنه عليه السلام من مات فى احد
الحرمين حاجاً او معتمراً بعثه الله يوم القيمة
لا حساب عليه ولا عذاب وفى حديث اخر
بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن

بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا الى قوله آمناً قال بعض
المفسرين امناً من النار وقيل كان ثامن من
الطلب من احدث حدثاً وكان اليه فى الجاهلية
وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامناً على قول بعضهم وحكى ان قوماً
انوسعدون الخولانى المستتير فاعلموه
ان كتامة قتلوا رجلاً واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقى بياض البدن فقال
لعله حج ثلاث حج قالوا نعم قال حدثت انه من حج
حجة اذى وضحة ومن حج ثانية داين ربه ومن
حج ثالثة حج حرم الله شعره وبشره على النار
ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحباً بك من بيت ما اعظمك
واعظم حرمتك وفى الحديث عنه عليه
السلام ما من احد يدعو الله عند الركن
الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب
وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر
يوم القيمة من الامنين قرات على القاضى الحافظ
ابو على رحمه الله حدثك ابو العباس العذرى
قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد
الهروى ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن

محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر
محمد بن ادريس قال سمعت الحميدى قال سمعت
سفيان بن عيينه قال سمعت عمرو بن دينار
قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشئ
وهذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار وانا فما
دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من عمرو الا استجيب لى قال
الحميدى وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشئ
فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى
الا استجيب لى وقال ابو الحسن محمد بن الحسن
وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيأ وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق

الا استجيب لى من امر الدنيا وانا ارجو ان
يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى وانا
فما دعوت الله بشئ وهذا الملتزم منذ سمعت هذا
من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على وانا
فقد دعوت الله باشياء كثيرة استجيب لى
بعضها وانا ارجو ان سعة فضله ان يستجيب لى
بقيتها قال القاضى ابو الفضل ذكرنا نبذا من
هذه النكت فى هذا الفصل وانا لم نكن من الباب
لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبى صلى الله عليه
وسلم وما يستحيل او يجوز عليه او يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه

قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افأن مات او قتل الاية وقال
ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الاية فحمى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا
الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى

206

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى لما كان
الا فى صورة البشر الذين تمكنهم مخاطبتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورؤيته اذا كان على صورته وقال لو كان
فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن
فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه
على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء
والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم
اوامره ونواهيه ووعده ووعيده وبشرونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه
وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسامهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ
عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفنا وبقوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر
متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات
الملائكة سليمة من التغير والافات
لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة و
رؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه

غيرهم

غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات
البشر لما طاقه البشر ومن ارسلوا اليهم فخاطبتهم
كما تقدم ومن قول الله تعالى فجعلوا من جهة
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح و
البواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل
الرحمن وكما قال تنام عيناى ولا ينام قلبى
وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى
ويسقين فبواطنهم منزهة عن الافات
مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه
جملة لن يكفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج
الى بسط وتفصيل على ما ناتى به بعد هذا
فى الباب بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم

قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه اعلم ان الطوارى من التغيرات
والافات على اجساد البشر لا تخلو ان تطرأ
على جسمه او حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار
وكله فى الحقيقة على وفعل ولكن جرى رسم المشايخ

بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب
وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر
نظر اعليهم الافات والتغيرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز
عليه جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد
قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع
على جزوجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما ياتي من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه
وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد
والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى
اليه ففي غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين
والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك والشك
والريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين
عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن
ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى
باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب

وترك المنازعة لمشاهدة الاجمال فحصل
العلم الاول بوقوعه وادراك العلم الثاني
بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بقبول
ذلك من ربه فيكون قوله اولم تؤمن اي تصدق
بمنزلتك وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سال زيادة يقين
وقوة طمانينة وان لم يكن في اول سؤاله
اذا العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل
في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال
من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي
من العلم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر
كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله
سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين
تمكنا فحاله الوجه الرابع انه لما احتج
على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه
الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق
الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله
لطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس
انه اراد من نفسه الشك وما شك لكن

208

ليجاب فيزداد قربةً وقول نبينا عليه السلام
نحن احق بالشك من ابراهيم نفى لان يكون
ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان نظن
هذا بابراهيم اى نحن موقنون بالبعث واحياء الله
الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك
منه اما على طريق الادب او يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع
والاشفاق ان حملت فضة ابراهيم على اختيار
حاله او على زيادة يقينه فان قلت فما معنى
قوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الايتين فاخذ
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره
بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من الشك
شك للنبى صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه
واية من البشر ومثل هذا لا يجوز عليه جملة
بل قد قال ابن عباس وغيره لم يشك النبى
صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن
ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة
المفسرين على هذا واختلفوا فى معنى الاية
فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك
الاية قال وفى السورة نفسها ما دل على
هذا التأويل قوله تعالى قل يا ايها الناس

ان كنتم

انكنتم فى شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب
العرب وغير النبى صلى الله عليه وسلم كما قال
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد
غيره ومثله فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء
ونظيره كثير كما قال بكر بن العلاء الامتراء
يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا
اليه فكيف تكون ممن كذب به فهذا كله يدل
على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية
قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المأمور هنا
غير النبى صلى الله عليه وسلم ليسئل النبى
صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا
المستخبر السائل وقال ان هذا الشك
الذى امر غير النبى صلى الله عليه وسلم بسؤال
الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله
تعالى من اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد
والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد
المشركون والخطاب مواجهته للنبى صلى الله
عليه وسلم قاله الفتبى وقيل معناه سلنا
عمن ارسلنا من قبلك فحذف وقدم
الكلام ثم ابتدأ الكلام واجعلنا من دون
الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اى

209

ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقيناً من ان يحتاج الى
السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتاده والمراد بهذا والذي قبله
اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى الم ياذن
في عبادة غيره لاحد رداً على مشركي العرب
وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم
بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس
المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد
يكون ايضاً على مثل ما تقدم اي قيل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله في اول الاية افغير الله ابتغي حكماً الاية
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك
غيره وقيل هو تقرير كقوله انت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم
انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك
فاسئل تزدد طمانينة وعلماً الى علمك

ويقينك

ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك
وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضائلك وحكى عن ابي عبيدة
ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا
فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيئس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلت المعنى في ذلك ما قالته عايشة رضي الله
عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا
ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم
كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل
ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم
لا على الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء
وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا يشتغل
بذلك من شاذ التفسير بسواه مما لا
يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة و
مبتداء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه
الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء
الوحي لينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا

ما ورد في الصحيح انه قال له بعد لقاء
الملك او يكون قبل لقاء الملك والعلم عند الله
تعالى له بالنبوة لاقول ما عرضت عليه
من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر ورؤية
المنامات والتباشير كما روى في بعض
طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا
في المنام ثم راى في اليقظة مثل ذلك
تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول مجيئه
بنيته البشرية وفي الصحيح عن عايشة
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت
ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه
الحق وهو في غار حرا الحديث وعن ابن
عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى
الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق
عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حرا قال فجاءني وانا
نائم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو
حديث عايشة في غطه له واقرائه اقرا
باسم ربك الستورة قال فانصرف عني

وهببت

وهببت من نومي فكانما صورت في قلبي
ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت
لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن
الى خالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذا سمعت
منادي ينادي من السماء يا محمد انت رسول
الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل
على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين
في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفاءه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل
انه عليه السلام قال قال لخديجة اني اذا خلوت
وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع
صوتا واري ضوء واخشى ان يكون بي جنون
وعلى هذا يتاول ليصح قوله في بعض هذه
الاحاديث ان لا يبعث شاعرا او مجنونا والفاظ
بفهم معاني الشك في تصحيح ما راه وانذكان
كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له
واعلام الله انه رسوله فكيف وبعض
هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد

اعلام الله تعالى له ولقابله الملك فلا يصح
فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي
اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى
بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل
عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه
فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك
قال اما الان فلا وحدث خديجة واختها
امر جبريل يكشف راسها الحديث انما ذلك
في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك
ويزول الشك عنها لانها افعلت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم وليخبرها حاله
بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد
بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة
ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك
وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
ان تخبرني بصاحبك اذا جاء لك قال نعم فلما
جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي
وذكر الحديث الى اخره وفيه قالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت واستبشر
وامنت به فهذا يدل على انها مستثبتة

بما فعله

بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر
وفترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا
ذكر راويه ولا من حدث به ولان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من
جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد دل
على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه وقع
ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصح
معنى هذا التاويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن
عبد الله ان المشركين لما اجمعوا بدار الندوة
للنبي ودروا في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها
فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها
المدثر او خافان الفترة لامر او سبب
منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل
ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي

عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فزاد يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له
بما وعدهم من العذاب وقول الله في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه افظن ان لن يضيق
عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق
عليه مسلكه فخرج وقيل ظنه بمولاه
انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل بقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه
بالتشديد وقيل نواخذه بفضبه وذهابه
وقال ابو زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه
على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك
قوله اذ ذهب مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له
ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه
ان يسمعوه بالكذب ويقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك
فيما امره به من التوجه الى ما امره الله به
على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه السلام
غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك
مغاضبا وقد روي عن ابن عباس

ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه
الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
وارسلناه الاية ويستدل ايضا بقوله ولا تكن
كصاحب الحوت اذ نادى وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون
هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي واستغفر
في كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاحذران يقع بالك ان يقع
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه
عليه السلام بل اصل الغين فهذا ما يغشى
القلب ويغطيه قال ابو عبيد واصله من غين
السماء وهو اطباقا الغيم عليها وقال غيره
والغين شئ يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع
ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث
انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرنا
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد الاستغفار
لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى
غفوات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن
مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان

صلى الله عليه وسلم رفيع اليه من مقاساة البشر
وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة
الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من
اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى كل
هذا من طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان
صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حالة عند
خلوص قلبه وخلوته وتفرده بربه بكليته عليه
ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام
حال فترة عنها وشغله سواها عنها غضاً
من على حاله وحفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله
من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها
والى معنى ما سرنا اليه مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض
معناه وكشفنا للمستفيد وجه مجاه وهو
مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو
فى غير طريق البلوغ على ما سبق وذهبت
طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المعرفة
ممن قال بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم
عن هذه الجملة واجلة ان يجوز عليه فى حال
سهواً وفترة الى ان معنى الحديث ما يهجم
خاطره ويمر فكره من مراعاته عليه السلام
لو هنامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم

قالوا

قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التى تغشاه لقوله تعالى وانزل الله سكينته
عليه ويكون استغفاره عليه السلام
عندها اظهاراً للعبودية والافتقار وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره
ليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن
وقد يحتمل ان تكون هذه الاعانة حالة خشية
واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ لله
ولملازمة العبودية كما قال فى ملازمة العبادة
افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه
الاخيرة تحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث
عنه عليه السلام انه ليغان على قلبى فى اليوم
اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به
علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت فى ذلك الى قوله من قال فى اية
نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل اذ لو شاء الله
لجمعهم على الهدى وفى اية نوح لا تكونن ممن
يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق
اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله

وذلك لو يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم لان يتثبتوا في امورهم بسمات الجاهلين
كما قال اني اعظك ولبس في اية منها دليل على
كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون
عليها فكيف واية نوح عليه السلام قبلها
فلو تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك فتجعل
ما بعدها على ما قبلها اولى ان مثل هذا يحتاج
الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله ان يسأله عما طوا عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم
اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله
انه ليس من اهلك اي ممن على غير صالح حكى معناه
مكي كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام
الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عند ذلك
فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر
بن فورك وقيل معناه الخطاب لامته محمد فليحذر
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله
في القرآن كثير وهذا الفضل يوجب القول
بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا قلت
فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء
من ذلك فما معنى اذا وعيد الله نبينا عليه
السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع

من دون الله

من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا منه
باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء الله
يختم على قلبك وقوله فان لم تفعل فما بلغت
رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه السلام لا يجوز عليه ان لا يبلغ
وان لا يخالف امر ربه وان لا يشرك ولا يقول
على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن
يسر الله امره بالمكاشفة والبيان في البدء
للجاحدين وان ابلوغه ان لم يكن هذا السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله
والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون
لا تخافا انني معكما لتشد بصائرهم في البدء
واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
والمضعف للنفس واما قوله ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك

فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا
الاية وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يجوز عليه ذلك وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله
ينهاه عما يشاء ويامره بما شاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام
وما كان من الظالمين **فصل واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف
والصواب انهم معصومون قبل النبوة**
من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء
من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار
عن الانبيا بتنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم
الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل
الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف
بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عن من كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته وغير كفار

الامم

الامم انبياها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله
عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء
من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جاء معهم عليه ولو كان
هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلوته في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له ينهيهم عما كان يعبد
قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن
تركهم الهتهم وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا
سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما
لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم
وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله
لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق
ويعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ
منه ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده
بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت

اخبار المبداء ولا يشبه عليك بقول ابراهيم
في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل
كان هذا في الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقيل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك
مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام لوارد مورد الانكار والمراد فهذا
ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال تعالى اين شركاي اي عندكم ويدل على انه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه
بقلب سليم اي سليم من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته لكن مثلكم في ضلالكم
وعبادتكم على معنا الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى
قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي

انهم

انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد
تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما له ليس
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر
فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنا قوله ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل
وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك
وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا اي شريعتك اي لا تعرفها
فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان
عليه السلام يخلوا بغار حراء في طلب ما يتوجه به
الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام
قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك
اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله
علي بن عيسى قال ابن عباس لم يكن له ضلالة
معصية وقيل هذا اي بين امرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك
ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمنت عليك
بمعرفتي وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى

اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك
ضالا اى محبا لمعرفتى والضلال الحب كما قال
انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة
ولم يريدوا بها هنا فى الدين اذ لو قالوا ذلك
فى نبى الله لكفروا ومثله عند قوله تالله انك
فى ضلالك مبين اى محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك
فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر
الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة
حتى اظهرك فهدايك الى السعداء ولا اعلم احدا
قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان ولكنه
فى قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها
اذا وانا من الضالين من المخطئين اى فاعلين
شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الزهرى
معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله
ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى
ان تضل احداهما فان قلت ما معنى قوله ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان عمر
قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ
القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال
بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرائض
والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيد الله
ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد

بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذى
يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر
ان النبى صلى الله عليه وسلم فذكان يشهد مع
المشركين مشاهدهم فشهد ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال
الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد
بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناد
الحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده
فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه
وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى
الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى رواته
ام ايمن حين كلمه عمه والله فى حضور بعض
اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك
فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كل ما دنوت
منها من صنم تمثل لى شخص ابيض طويل يصيح بى
وراءك لا تمسسه فما شهد بعدها عيدا وقوله
فى قصة بحيرا حين استحلفه النبى صلى الله عليه
وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرة
مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله
عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما ابغضت

218

قط بعضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني
عما اسالك عنه فقال سل ما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله
تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين
في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو
بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم

في ذلك وعلى ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما
ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة
والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه
ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل
ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق
نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه
المعارف يختلف فاما ما تعلق منها من امر الدنيا
فلا يشترط في حق الانبياء العصمة من عدم
معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على
خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم
متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف

غيرهم

غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا
فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا
وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في
مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع
عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي
الا العلم به ولا يجوز جهله جملة لانه لا يخلو
ان يكون حصل عقده ذلك عن وحي من الله
فهو لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له علم اليقين او يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء
على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة
اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه
شيء خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون
ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا

وصحيحاً هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خرق
من خالف فيه ممن اجاز عليهم الخطأ فى الاجتهاد
لا على القول بتصويب المجتهدين الذى
هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر
بان الحق فى طرف واحد لعصمة النبى صلى الله
عليه وسلم من الخطاء فى الاجتهاد فى الشريعة
ولان القول فى مخطئة المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبى صلى الله عليه وسلم
واجتهاده انما هو فيما ينزل عليه فيه شئ
ولم يشرع له قبل هذا فما عقد عليه صلى الله
عليه وسلم قلبه فانما مالم يعقد عليه قلبه
من امر النوازل الشرعية فقد كان لم يعلم منها
اولا الا ما علمه الله شيأ شيأ حتى استقر
علم جملتها عنده اما بوحى من الله او اذن
ان يشرع فى ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان
ينتظر الوحى فى كثير منها ولكنه لم يمت حتى
استقر علم جميعها عنده عليه السلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع
الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة
فلا يصح منه الجهل بشئ من تفاصيل الشرع
الذى امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته
الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والارض وخلق الله وتعيين اسماء

الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط
الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم
ما كان وما يكون تمام بعلمه الا بوحى فعلى
ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما
اعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس
عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم
انى لو اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله ولو خطر
على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من
قرة اعين وقول موسى بخضر هل اتبعك
على ان تعلمنى مما علمت رشداً وقوله صلى الله
عليه وسلم اسالك باسمائك الحسنى ما علمت
منها وما لم اعلم وقوله اسئلك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او استأثرت به
فى علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى
وفوق كل ذى علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره
حتى ينتهى العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به
اذ معلومات الله تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها
هذا حكم عقد النبى صلى الله عليه وسلم
فى التوحيد والشرع والمعارف والامور الربانية

فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة
النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان

وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى
ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا
القاضي ابو علي الحافظ قال ثنا ابو الفضل
بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني
وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل
الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف
ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله
قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه
فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني
الا بخير وعن عائشة بمعناه وروى
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم يعني القرين
انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار
لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا
حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم
فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر
على الدنو منه وقد جاءت الاخبار بتصدي

الشياطين

الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء
نوره وامانة نفسه وادخال شغل عليه
اذ يئسوا من اعوانه فانقلبوا خاسرين
كتعرضه له في صلوته فاخذ النبي صلى الله
عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة
عنه عليه السلام ان الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر
فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله
منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى
سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت
قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا الاية فرده الله خاسئا وفي حديث
ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله
ابليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت
اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك
في حديثه الاسراء وطلب عفريت له بشعلة
نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطاء ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته
تسبب بالتوسط الى عداه نقضيته مع قريش
في الايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم

ويصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة
اخرى في غزوة بدر في صورة سراقة
بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الاية ومرة ببدر بشارة عند بيعة
العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى
عليه السلام كفى من لمسه فجاء ليطعن بيده
في حاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال
عليه السلام حين ثقل في مرضه وقيل له
حشينا ان يكون بك داء الجنب فقال انها
من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي
فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله
واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك
اى يحملنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي وقيل ينزغنك يغريك ويحركنك
والنزغ ادنى الوسوسة فامر الله تعالى
انه متى تحرك عليه غضب على عدوه اورام
الشيطان من اعوانه به وخواطر ادانى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان

يستعيذ

يستعيذ منه فيكفي امره ويكون سبب
تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل
في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان
يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها
ولا عتماد في ذلك دليل المعجزة بل لو شك
النبي في ان ما اتاه من الله الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له
او ببرهان يظهره على يديه لتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل
فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القا الشيطان
في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى
هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني
ههنا التلاوة والقاء الشيطان فيها
اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا
للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان
فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التأويل ما نزله الله
وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله آياته

وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشيع
من هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندي
انكار قول من قال بتسلط الشيطان
على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل
هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة
بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي
ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه
عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول
ان الشيطان هو الذي امرضه والقا الضر
في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره
ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي
اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله
فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع عليه
السلام وما انسانيه الا الشيطان
وقوله عن يوسف عليه السلام فانساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه
السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان
فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا
على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم
كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله

كما قال

كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو
شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا
الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت
نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال
موسى لفتاه والمروي انما نبي بعد موت موسى
وقيل قبيل نبوته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها
كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله انساه الشيطان قولين احدهما
ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد
صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر
الملك شان يوسف عليه السلام
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزع وانما هو اشغال خواطرهما بامور
اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما
ما نسياه واما قوله عليه السلام
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر
تسلطه عليه ولا وسوسته له بل
ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك
الشيطان بقوله ان الشيطان
اتا بلالا فلم يزل يهديه كما يهداه الصبي

حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك
الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر
هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما
ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق
حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله

فصل واما اقواله عليه السلام
فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان
طريقه البلاغ انه معصوم فيه
من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به
لا قصداً وعمداً ولا سهواً وغلطاً امّا
تعمد الخلف في ذلك فممتنع بدليل
المعجزة القائمة مقام قول الله صدق
فيما قال اتفاقاً وباطباق اهل الملة جملة
واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك
فهذه السبيل عند الاستاذ ابو اسحق
الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة
الاجماع فقط وورد الشرع بانتفاء
ذلك وعصمة النبي له من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني فلا فرق

ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض
الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين
انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما
اوحي اليه من وجيه لا على وجه العمد ولا على
غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله
اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى
والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله
الا حقاً ولنرد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
عليه بياناً فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقاً ولا يبلغ عن الله الا صدقاً
وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت
فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم
لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل
عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وآتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد
منه في هذا الباب خبر مخالف مخبره على اي وجه
كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا
من غيره ولو اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص

فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق
فصل وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى
ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي الاخرى
والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم
ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار
لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه
وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لا ينزل
عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية
اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر
هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه
السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك
بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسليته له وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا
ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين

اصله

اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به
وبمثله المفسرون والمورخون المولعون
كل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال
لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف
كلماته فقائل يقول انه في الصلاة وآخر يقول
قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسهى وآخر يقول ان الشيطان
قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر
يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا
انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت
عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر
الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع منه
حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال فيما احسب الشك في الحديث

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا حديث لا نعلمه يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز
ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن
خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا فيه من الضعف ما نبه عليه مع
وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا
حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس هذا نوهينه
من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة واجتمعت الامة على عصمته صلى الله عليه
وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من
تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله
وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد
النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما ليس منه
حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع
في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل

نفسه

نفسه عمدا وذلك كفر او سهو وهو معصوم
في هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع
عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه
او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يشبه عليه
ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان ويكون للشيطان
عليه سبيل وان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا
ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان
وهو استحالة هذه القصة نظرا او عرفا وذلك
ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج بالذم متخاذل
التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه
وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهو لا يخفى على
ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندة
المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط
العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل
فتنة وتغييرهم المسلمين والشماتة بهم الفتنة
بعد الفتنة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر

الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه
القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة
الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على
المسلمين الصولة والاقامت بها اليهود عليهم
الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى
كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك
ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من
هذا البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي
حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما
روي عن معاذ فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واختلاق اصلها
ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس
والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين وجه رابع
ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا
ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان ترد
ان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم
كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته
لكاد يركن فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه
من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم شيئاً قليلاً
فكيف كثيراً وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم
وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت

عليه

عليه ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي
تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء
وقد روي عن ابن عباس كل ما في القران كاد
فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها
ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه
قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه
اليها ووعده الايمان به ان فعل فما فعل وما كان
ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول
ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر غير
ما ذكرناه من نص الله على عصمته رسوله ترد
سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية
واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث
لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك
من حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين
باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل ان النبي صلى عليه وسلم

اصابته سنة عند قراءة هذه السورة فجرى
هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح
اذ لو يجوز على النبي مثله في حالة من احواله
ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب
من جميع العمد والسهو وقول الكلبي ان النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسهى فلما اخبر
بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا
لا يصح ان يقوله عليه السلام لو سهوا ولا قصدا
ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل
النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم
هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله
كبيرهم هذا بعد السلت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل
وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو
احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا
بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام
فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله
عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امر ربه يترتل القرآن

ترتيلا

ترتيلا ويفصل الاداء تفصيلا وفي قراءته كما روي
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان تلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دناه اليه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يتقدم ذلك
عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك ما انزلها
الله وتحققهم من حال النبي في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف من امره وكل هذا لا يوجب ريبا
ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا
ولا وهما وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها انما القا
الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
لهذه المشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الاية فمعنا تمنى تلا وقال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة
وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية
هو يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فيثبته ذلك ويرجع عنه وهذا نحو
قول الكلبي في الاية انه حدث فيها نفسه وقال

اذا تمنى اى حدث نفسه وفى رواية ابى بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما يصح
فيما ليس طريقه تغيير المعانى وتبديل الالفاظ
وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط
آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه
عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره فى حكم ما يجوز
عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر فى تاويله
ايضاً ان مجاهداً روى هذه القصة والغرانقة
فلما سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا
والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبى
الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا
يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله
عنهم ورد عليهم فى هذه السورة بقوله الكم الذكر
وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد
بذلك الذكر الهتهم وليس عليهم الشيطان ذلك
وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى
الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلاً
للاباس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته
وكان فى انزال الله تعالى لذلك حكمة وفى نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء وما يضل

الا الفاسقين

الا الفاسقين وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة
للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان
للظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الاية وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر الات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتى
بشئ من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك
الكلمتين ليخلطوا فى تلاوة النبى صلى الله عليه
وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون
ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبى
صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
من قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك
من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع
ما ليس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روى من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب
عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال
لا ارجع اليهم كذاباً ابداً فذهب مغاضباً فاعلم
اكرمك الله انه ليس فى خبر من الاخبار الواردة

وفي هذا الباب ان يونس قال لهم مهلككم وانما
فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه ولكنه قال
لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان
ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتراهم
قال الله تعالى لولا قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الاية وروى في الاخبار
انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى
ما روى ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم انا كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان علي يملي عزيز حكيم فاقول وعليم
حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول
النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول
اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن
انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق

يا لباطل لينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عن من ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل
خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افتري هو ومثله
على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا العجب
لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره
وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم يرد على احد
من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه
شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري
الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك
هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث
انس وظاهر حكايته له فليس فيه ما يدل انه
شاهدها ولعله حكاها سمع وقد علل البزار
حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع
عليه ورواه حميد عن انس وقال انظر حميدا
سمعه من ثابت قال الصلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج
اهل الصحة حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رافع عن انس الذي
خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس
قول شئ من ذلك من قبل نفسه انما من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها

230

قدح ولا توهم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح كذا
من ان الكاتب قاله عليم حكيم او كتب له فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فسبقه لسانه
او قلمه لكلمة او كلمتين ثم نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة
قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع
البيت ان يسبق الى قافيته او مبتداء الكلام
الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام
كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام اذا صح كل صواب فقد يكون
هذا مما كان فيه من مقاطع الاذى وجهان و
قرآنان انزلنا جميعا على النبي صلى الله عليه
وسلم فاملى احداهما ولم يصل الكاتب بفطنته
ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فقال ذكر
النبي لها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله
عليه وسلم ثم لحكم الله من ذلك ما احكم ونسخ
ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاذى
مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور
وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين في غير المقاطع قرأهما معاً
الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر
الى الطعام كيف ننشزها وننشرها ويقضي
الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريباً
ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطاً
ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون
فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس عن القرآن فيصف الله عز وجل
ويسميه في ذلك كيف شاء

فصل

هذا القول فيما طريقه البلوغ واما
ما ليس سبيل البلوغ من اوخبار التي
لا مستند لها الى الاحكام والاخبار
المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده
تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع
خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمداً
ولا سهواً ولا غلطاً وانه معصوم من ذلك
في حال رضاه وفي حال سخطه وجده وهزله
وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة

وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله
والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن
اي شيء وقعت وانه لم يمكن لهم توقف ولا
تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي
الحقيق اليهودي على عمر بن الخطاب رضي الله
عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليهم عمر بقوله
صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت
من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي
القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضاً
فان اثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى
بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها
استدراكه واعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام
رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رايا لا خبراً وغير ذلك من الامور
التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف
على يمين فارى خيراً منها الا فعلت الذي حلفت
عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الى حديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها

وايضاً فان

وايضاً فان الكذب متى عرف من احد في شيء
من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان
استريب بخبره وانهم في حديثه ولم تقع قوله
في النفوس موقعاً ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضاً
فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا
مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستشنع ويستبشع مما يخل بصاحبها
وتزري بقايلها لاحقه بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغاير فهل
تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام
والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز
من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض
للمعجزة فلنقطع عين اليقين بانه لا يجوز على
الانبياء خلف في هذا القول في وجه من الوجوه
لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من
تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو مما
ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم
الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم

واحوال دنياهم لان ذلك كان يزرى
ويريب به وينفر القلوب عن تصديقهم
بعد وانظر احوال اهل العصر النبى صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرها من اقوامهم وسؤالهم
عن حاله فى صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على
عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه فى الباب
الثانى اول الكتاب ما يبين للصحة ما اشرنا
اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه السلام
فى حديث السهو الذى حدثنا به الفقيه
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال ثنا القاضى
ابو الطيب بن سهل قال ثنا خاتم بن محمد ثنا
ابو عبد الله محمد بن الخازر ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله
ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابى
سفيان مولى ابن ابى احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك
لم يكن وفى رواية اخرى ما قصرت الصلاة
ولا نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى الحالتين
وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين

قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم
وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة
بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية
التعسف والاعتساف وها انا اقول اما
على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس
طريقه من القول البلاغ وهو الذى
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث
وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو
والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه
فى مثل هذا عامد لصورة النسيان ليس فهو
صادق فى خبره لانه لم يبن ولا قصر ولكنه
على هذا القول قد هذا الفعل فى هذه الصورة
ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه
فى الاقوال وتجويزه السهو عليه فيما ليس طريقه القول
كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبى صلى الله
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار
القصر فحق وصدق باطناً وظاهراً واما النسيان
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم يجر
فى ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم يطابق
وهذا صدق ايضاً وجه ثان ان قوله لم اقصر يحتمل
الى المستلوم اى انى سلمت فصداً وسهوت
عن العدد اى لم اسنه فى نفس المستلوم وهذا محتمل

وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ماذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم
اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومنشؤ
اللفظ خلاف مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو
قوله ما قصرت الصلاة ولا نسيت هذا ما ذكر
فيه لو تمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ
على بعد بعضها وتعسف اوخرمنها قال القاضى
ابو الفضل رضى الله عنه والذى اقول وظهر لى
انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس
انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه وانكره على غيره
بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا
ولكنه نسى ولفوله فى بعض روايات الحديث الاخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت
الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شئ من ذلك
فقد نسى حتى سأل غيره فتحقق انه نسى واجرى
عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر
اوكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينسى حقيقة
ولكنه نسى ووجه اخر استنده من كلام بعض
المشايخ وذلك انه قال ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان ينسى ولذلك نفى عن نفسه
النسيان قال لان النسيان غفلة والسهو
انما هو شغل قال فكان النبى صلى الله عليه وسلم

ينسوا

ينسوا فى صلوته ولو يغفل عنها وكان يشغله
عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغل دونها
لو غفلة فهذا ان تحقق على هذا المعنا لم يكن قوله
ما قصرت ولا نسيت خلف فى قولى وعندى
ان قوله ما قصرت ولا نسيت بمعنى الترك الذى
هو احد وجهى النسيان اراد والله اعلم انى لم اسلم
من ركعتين تاركا لهما الصلاة ولكنى نسيت
ولم يكن ذلك من تلقاء نفسى والدليل على ذلك
قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح انى لا انسى
او انسى لاسن واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام
المذكورة فى الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة
فى القرآن منها اثنتان قوله انى سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختى
فما علم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة فى باب
المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب اما قوله
انى سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اى
ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه
عن الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل سقيم بما قدر
على من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق

وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد
بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون
بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة
حجته عليهم في حال سقم ومرض حال بينه وبين ذلك
هو ولو ضعفا بيانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والقمر والشمس بما نصبه الله وقد قدمنا
بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الوجه فانه
علق خبره بشرط نطقه كانه قال وان كانوا
ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق ايضاً ولا خلف فيه واما قوله اني
فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الله
وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقاً في الباطن او هذه
الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف ما قالها
اشفق ابراهيم عليه السلام بما اخذته بها واما
الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول

انما هو

انما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه
حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن
موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لانه يقول تجهز والغزوة كذا او وجهنا
الى موضع كذا اخلاف مقصده فهذا لم يكن والاول
ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس
اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد
العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين علم منك وهذا خبر قد اباء الله انه
ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض
طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احداً اعلم
فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق
ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر
فمحتمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح بذلك
في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضاً عن اعتقاده وحسبانه صدقاً
لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم ما يقتضيه
وضايفا للنبوة من علوم التوحيد وامور
الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر
اعلم منه بامور اخر مما لم يجعله احداً ابا علوم الله
من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرها
فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم

235

على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه
فيما قاله العلماء اليه كما قال الملائكة لا علم لنا
الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا ولله
والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله
في تزكية نفسه وعلو درجته من امته
فيهلك لما تضمنته من مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعالي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء
فغيرهم بعيد درجة سبيلها وذرك نيلها الا
من عصمة الله فالتحفظ منها اولى لنفيسة
وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا
من مثل هذا قد علم بانه سيد ولد آدم
ولا فخر هذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة
الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولو يكون
الولي اعلم من النبي وانما الانبياء فيتفاضلون
في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري
فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف
لانه ما علمنا كان في زمن موسى نبي غيره الا ان
هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك
شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا

معينة

معينة ثم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا
قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر
فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما ورد فيه اليه
من موسى وقال اخرا نما الجى موسى الى الخضر
للتأديب لا للتعليم **فصل واما ما يتعلق**
بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذي
وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه
المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند
الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو
مذهب القاضي ابي بكر منها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحق وذلك لاخلافانهم معصومون
من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور القائلين بانهم
معصومون من ذلك من قبل الله معصومون
باختيارهم وكسبهم الا حسنا الجبار فانه قال
لا طاقة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء

236

والمحدثين والمتكلمين سنورد بعد هذا
ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم ترد
في الشرع قاطع باحد الوجهين ذهبت طائفة
اخرى من المحققين ومن الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر
قالوا لو اختلف الناس في الصغائر وتعينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما
سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه
ومخالفة الباري في اي امر كان يوجب كونه
كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن
ان يقال في معاصي الله صغيرة الا على معنى
انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم
مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلو
يخبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو
قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية
وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ويجب
على القولين ان يختلف انهم معصومون عن
اقرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر
ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروءة واوجبت الازراء والخساسة وهذا
ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل

هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل تلحق بهذا ما كان من قبيل المباح
فادى الى مثله لخروجه بما ادنى اليه عن
اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى
عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد
استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر
بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم
وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير
التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج
عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن شريح والاصطخري وابن خيران من الشافعية
واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما
من امور الدنيا وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعالهم لم يقيد قال
فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز
مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر
ولو صح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعلة معصية

237

لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصولين ونزيد هذا حجة
بان يقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا
عليه السلام مجمعون انه صلى الله عليه وسلم
لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا
فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه
منه في نفسه وعلى هذا المأخذ يجب عصمتهم
من موافقة المكروه كما قيل واذا الحظر او لندب
على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل
المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا
الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله
فقد نبذ واخواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا
نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس
احتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة
او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا خبرتها
اني اقبل وانا صائم قالت عايشة محتجة كنت
افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء

واني

واني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والآثار
في هذا اعظم من ان تحيط عليها لكنها يعلم
من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم
بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها
لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما انكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره
بما ذكرناه واما المباحات فجايز وقوعها
منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وابدانهم
كابدان غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار
المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله والدار
الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات
مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم
وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرقا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة
عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة
وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب
الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع

فان المعاصي والنواهي انما تكون مع تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام
قبل ان يوحى اليه هل كان متبعاً لشرع من قبله
ام لا فقال جماعة لم يكن متبعاً لشئ وهذا قول
الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة
ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها
وذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة
القاضي ابوبكر بن الطيب الى ان طريق السمع وحجته
انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به
من سيرته ولفتش اهل تلك الشريعة واحتجوا به
عليه ولم نر شيئاً من ذلك جملة وذهبت طائفة
الى امتناع ذلك عقلاً قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعاً من عرف تابعاً ونبوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واسناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضي ابوبكر اولى واظهر وقالت
اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشئ وذلك اذا لم يحل الوجهين منها النقل
ولوستبان عندها في احدهما طريق النقل وهو
مذهب ابوالمعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملاً بشرع من كان قبله ثم اختلفوا اهل هذا

ذلك الشرع امر او وقف بعضهم على تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وضمهم اختلفت
هذه المعينة في من كان يتبع فقيل نوح وقيل
ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
وهذه جملة المذاهب وهذه المسئلة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابوبكر وابعدها مذاهب
المعينين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء
فلربما شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي
دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا حجة
ايضاً للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفاً والاخرين في قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحاً فمحمل هذه الاية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى تعالى فهم من لم يبعث ولم
شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول
من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى
جماعة منهم وهذه الاية شرائعهم مختلفة او غير
المجمع بينها فدل ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا
او نخالفون بينهم انا من منع الاتباع عقد قيده

239

اصله فى كل رسول بالضرورة واما من مال
الى النقل فان ما يتصور له وتقرر اتباعه
ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله فيلزمه بمساق حجته
فى كل شئ فصل هذا حكم ما يكون المخالفة
فيه من الاعمال وهو ما ينتهى معصية
ويدخل تحت التكليف واما ما يكون
بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان فى الوظائف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب
وترك المواخذة عليه فاحوال الانبياء
فى ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية
لهم مع عدمهم سواء ثم ذلك على نوعين من طريقه
البلوغ وتقرر الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم بابتداء فيه
وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه الخلاف
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو فى التقرر
وهذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك فى حق النبى عليه السلام وعصمته من جوازه
عليه قصداً او سهواً فكذلك قالوا الافعال
وهذا الباب لا يجوز طرق المخالفة فيها لا عمداً
ولا سهواً لانها بمعنى القول من جهة التبليغ
وطرق هذه العوارض عليها يوجب التشكك
وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو

بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا
مال الاستاذ ابو اسحق وذهب الاكثر والفقهاء
والمتكلمين الى ان المخالفة فى الافعال البشرية
والاحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد
منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو
فى الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال التبليغية
لقيام المعجزة على الصدق فى القول ومخالفة
ذلك تناقضها واما السهو فى الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح فى النبوة بل غلبة
الفعل وغفلوات القلب من سمات البشر كما قال
عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا
ذكرونى ونحو هذا من حالة النسيان والسهو وهذا فى حقه
عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام انى لانسى او انسى لاسن
بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه
الحالة زيادة له فى التبليغ وغاية عليه فى الرتبة
بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن
فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان لا يقر
لو قر على السهو والغلط بل ينبهون عليه
ويقومونه حكمه بالفور على قول بعضهم وهو
الصحيح وقيل انقراضهم على قول الاخرين واما
ما ليس طريقه البلوغ والبيان الاحكام
من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دنيه

240

واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه الاكثر
من طبقات علماء الامة على جواز السهو
والغلط عليه فيها وحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق
وسياسات الامة ومعانات الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاصرار
بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا ما
يحط من رتبته وينافي معجزته وذهبت طائفة
الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة
المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا
ان شاء الله **فصل في الكلام على الاحاديث
المذكورة فيها السهو منه عليه السلام**
قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه
عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واجتنابه
في الاخبار جملة وفي اقوال الدينية قطعا
واجبنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه
الذي ربيناه واشرنا الى ما ورد في ذلك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث
الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة
ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في

من اثنتين انا في حديث ابن بحينة في القيام
الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث
مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه
وحكمه الله فيه لسنن به اذا ليدوخ بالفعل
احلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه
انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليقع الاتباع
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان
والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير منفصة
للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وكذا وكذا اية كنت اسقطهن وروي
انسيهن وقال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن
قيل هذا اللفظ من الراوي وقد روي اني لانسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار
انه ليس من ذلك وان معناه التعليم اي انسى انا او ينسيني
الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قاله
ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او
انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه اذ كان لبعض السبب فيه
ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من اصحابنا المعافى والكلام على الحديث

الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو
في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة
وآفة والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها
والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية
الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا
كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض
المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد
صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى
لاسن وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما
تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا
وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم
ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله
اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهته كقوله بئس
ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او لنفي
الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه
ولكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي

ترك

ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن
وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه
عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها
ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر
من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله
عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن
مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات
حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث
الاخر ولو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون
لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي انه كان ينام حتى ينفخ وحتى
يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه
مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او الحدث
آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت
غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ

وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام
ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم
لما قال لبلال اكلا لنا الصبح في الجواب انه كان
من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر
يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله
ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول
نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال لقد ذكرني كذا وكذا
آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية
كذا فمحمول على ما نسخ فعله من القرآن اي ان الغفلة
في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء
ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قلبه تذكرها
صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله
عليه وسلم على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه
واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الآيات
جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله

الى عباده

الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه
الا ما قضى الله سبحانه نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه
منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما
مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه له بحفظ الله كتابه وتكفيله بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبياء

من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك
من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى
تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به
مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه
وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح
وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك
قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص
من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه
فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما اتاهما الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا
الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكره من قصته وقصة داود وقوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص
من قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى
فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي
ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت ونحوه
من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف
ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني
لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني
الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون وقال تعالى عن ابراهيم والذي

اطمع

اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن
عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان
الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا
قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان
قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك
من ذنب وما لم يقع اعلمه الله تعالى انه مغفور له
وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك
بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته
عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل
ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله
والذي قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم هاهنا مخاطبة لامته وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الاية وبمال المؤمنين في الاية الاخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
هاهنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك

وزرك الذى انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى
قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حتى معنا
السمرقندى وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من
اعباء الرسالة حتى يكفرها حكاه الماوردى وقيل
وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه
وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيرى وقيل
معناه حفظنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى نقضى اى كاد ينقصه فكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبى
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته
وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت
عليه واشفق منها اوكون الوضع عصمة الله له
وكفاية له من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او عوده
من ثقل الرسالة اوما ثقل عليه وشغل قلبه من
امور الجاهلية واعلوم الله تعالى له بحفظها
استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم فلم يتقدم للنبى صلى الله عليه
وسلم فيه من الله نهى فيعد معصية ولا عده الله
تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم سيئة
واغلطوا من ذهب الى ذلك قال ابن فورك وقد حاه

الله من ذلك بل كان مخيرا فاذن قالوا وقد
كان له ان يفعل ما يشاء فما لم ينزل عليه فيه
وحى فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم عاتبه الله بما لم يطلع عليه
من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لو خرج
فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر لك كما قال
النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اعلم بذلك
ومحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لمن
لو عذبه عذبه من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى
عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودى
روى انها نكرهة له قال مكى هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندى ان معناها
عافاك الله واما قوله فى اسارى بدر ما كان لنبى
ان يكون له اسرى الاية فليس منه الزام ذنب
للنبى صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خصه
فضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان
هذا لنبى غيرك كما قال عليه السلام احلت لى
الغنائم ولم تحل لاحد قبلى فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب
لمن اراد ذلك منهم وتجرد عرضه لعرض الدنيا
وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبى عليه السلام ولا عليه اصحابه بل قد روى

245

عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم
عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الاية هذه فقيل معناها لولا انه
سبق مني اني لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى
لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم
الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب
من بعدي وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ
انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاؤا القتل وان شاؤا الفدا ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوقبوا
على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب

اختيار

اختيار غيرهم كلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام
في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب
ما نجا منه الا عمر اشاره الى هذا من تصويب
رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية
استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين
عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحلة لهم فيما سبق وقال
الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز
ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه
ولا دليل من نص ولا جعل اليه الامر فيه وقد نزهه
الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله
نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق ما كنت له
من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادوا
في سرية عبد الله بن جحش الذي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل
على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى
كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر
وكثرة اسراها والله اعلم باظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم

لو على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى
كلامه واما قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى
فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله
ان ذلك المتصدى له ممن لو يتزكى وان الصواب
والاولى له كان ما لو كشف لك حال الرجلين الا قاه
على الاعمى وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله عليهم اعلام بحال
الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى
الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
اراد بعبس وتولى الكافر الذى كان مع النبى
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلوا منها بعد قوله
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل
وقيل اخطا فاذا الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله
ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهده الله
اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك
الاية قيل نسى ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس
انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل

لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنها اغتر
بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما
ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر
آدم بمثل هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير حلف
بالله لها حتى غرها والمؤمن يخدع وقد قيل النبى
ولم يتوا لمخالفة فلذلك ولم تجد له عزما اى قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم
والصبر وقيل كان عندا كله سكران وهذا فيه
ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر
فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان
ملتبسا عليه غالطا اذا لا تفاق على خروج الناسى
والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن
فورك وعزه انه يمكن ذلك قبل النبوة ودليل قوله
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لو يعلم انها الشجرة
التى نهى عنها لانه تاول نهى الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله لم ينهه
عنها نهى تحريم فاذ قيل فعلى كل حال فقد قال الله
تعالى وعصى ادم ربه فغوى وقال فتاب عليه
وقال فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانه
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فنسيانى الجواب عنه

وعن اشباهه مجملاً واخر الفصل ان شاء الله واما
قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفاً
وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيه
ابق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه انما توهم
عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب
وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لو اقام بوجه كذاب ابداً وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن
حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام ان لم يكن
وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول
مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه
عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال
الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم
الى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ومثل هذا قول
آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كان التسبب
في وضعها غير الموضع الذي انزلا فيه واخرجها منه
وانزلها الى الارض واما قصة داود عليه السلام
فنريد ان نلتقط الى ما سطره فيها الاخباريون
عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض

المفسرين

المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك
ولو ورد في حديث صحيح والذي نفى الله عليه
قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب
وقوله فيه اواب فمعناه فتناه اي اختبرناه
واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى
قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على
ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفليها
فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه
ان يستشهد وحكى الترمذي ان ذنبه الذي
استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال
يقول نعجته والى نحو ما اضيف الى الاخبار الى داود
من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما
من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود
واوريا خبر بيّن ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم
وقيل الخصمين الذين اختصما اليه رجلان
في نعاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف
واخوته فليس على يوسف منها تعقب وامر اخوته
فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر
الاسباط وعدّهم في القرآن عند ذكر الانبياء
قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا

اصفارا لوسنان ولهذا لم يميز وا بوسف بين
اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسل معنا اخانا نرتع
ونلعب وان ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم
واما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان
برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين
ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة
فلم يعملها كتبت له حسنة فلو معصية وقعت
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما
ما لم توطن عليه النفس من هموها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله
هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية
احد ابرئها من هذا الهم ويكون ذلك منه على
طريق التواضع والاعتراف بمحال لغة النفس
لما زكى قبل ويرى فكيف وقد حكى ابو حاتم عن
ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام قد تم
وتا خبر اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان
ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت
الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي الاية قيل في ربي الله تعالى وقيل الملك

وقيل

وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي
غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم
بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته
وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف
ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة
فشغلت هيبته كل من راده عن حسنه واما تغير
موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى
على انه من عدوه قال كان من لقط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة
موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لو معصية في ذلك وقوله هذا من عمل
الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن
جريج قال ذلك من اجل انه لو ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريد للقتل
وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
ان هذا كان قبل النبوة وهي مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له
مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت وليم وغير
ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله
ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنا الاختبار
واظهار ما بطن الا انه استعمل في غير في الشر

في اختبار ادنى المحابكره وكذلك ما روى
في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى
عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجوز اذ هو
ظاهر الامرين الوجه جائز الفعل لانه موسى دافع
عن نفسه من اتاه لانه رآه وقد تصور له في صورة
ادمي ولو يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت قصد
عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين ذلك الصورة
التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله لها فلما
جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله استسلم و
للمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي
عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفق حجته وهو
كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان وما حكي فيها اهل التفسير
من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتلينا
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال قال سليمان لاطوفن الليلة على مائة امرأة
او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم يحمل
منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال

ان شاء الله

ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب
المعاني والشق هو الجسد الذي على كرسيه
حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته وقيل بل انما
القي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه انه احب بقلبه ان يكون
الحق له فخانه على خصمه وقيل اخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من
حزافاتهم على ما فعله من تشبه الشيطان به
وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه
لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم
الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في
القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها
ما روى في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك
لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه
وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
لم يفعل هذا سليمان عبرة على الدنيا ولا نفاسة
ولكن مقصده في ذلك على ذكره المفسرون ان لا
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه
اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل
اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها
كما اختص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه

وقيل ليكون ذلك دليلاً وحجةً على نبوته كالآية
الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص
محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه
السلام فظاهرة العذر وانه احد فيها بالتاويل
وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب
مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك
لانه شك في وعد الله فبين له انه ليس من اهله الذين
وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد
اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق
هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له
في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش
لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا
لا يقتضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله
واقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهي
عنه وما روي في الصحيح من ان نبياً قرصته نملة
فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك
نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث
ان هذا النبي انا معصية بل فعل ما راه مصلحة
وصواباً بقتل من يوذي جنسه ويمنع المنفعة
بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلاً
تحت شجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة
تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحي اليه ما يوجب

عليه

عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته
هو في خاصته فكان انتقاماً لنفسه وقطع مضرة
يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل
هذا امراً نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله
اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه
والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا لم يذنب او كاد الا يحيى ابن زكريا
كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم
من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن
سهو وغفلة **فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم
صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل**
المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح
من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر لا من شيء فاعلم وفقنا الله واياك
ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم

وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها
ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا
من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل والسهو
وتريد من امور الدنيا المباحة خايفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصي
بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشي الدني
الرذل ومنه ذنب كل شي اي اخره واذناب الناس
رذالهم فكان من هذا ادنى افعالهم واسوء ما يجري
من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم
وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش
ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه
كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين
اي يرونها بالاهناقة الى علي حالهم كالسيات
وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة
وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي
نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود
اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن

بضع سنين

بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل
انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له
اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال
يا رب انسي قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ
الانبيا بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده وتجاوز
عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة
الاولى على سياق ما قلناه اذ كان الانبيا يواخذون
بهذا مما يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا
اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت
لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم
بل نقول انهم يواخذون بذلك في الدنيا ليكون
ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لمناة ربهم كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له
ذلك الاية وقال تعالى بعد قول موسى تبت
اليك اني اصطفيتك على الناس وقال
تعالى بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له
الريح الى وحسن ماب قال بعض المتكلمين
وزلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة

كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضاً
فليتنبه غيرهم من البشر منهم ومن ليس في درجتهم
بموا خذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا المنصب
الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح
المري ذكرا ودبسطة للتوابين وقال ابن عطا
لم يكن ما نقل الله من قصة صاحب الحوت نقصا له
ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضاً فقال
لهم فانكم ومن وافقتم تقولون بغفران الصغاير
باجتناب الكباير والاخلاق بعصمة الانبيا من الكباير
فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة
عنهذا فما معنا المواخذة بها انما عندكم وخوف
الانبيا وتوبتهم وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به هو
جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه
وسلم وتوبته وغيره من الانبيا على وجه ملازمة
الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله
على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المواخذة
وبما تقدم وتاخر فاذا كون عبداً شكوراً وقال
انا اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث
بن اسد خوف الملائكة والانبيا خوف اعظام
وتعبد لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك

ليقتدي بهم ويستن بهم امتهم كما قال عليه السلام
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضاً
فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً
اشار اليه بعض العلما وهو استدعاء محبة الله
قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
فاحداث الرسل والانبيا الاستغفار والتوبة
والاوابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله
والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى
لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من ذنبه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية
وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم
بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقداً واجماعاً
وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء مما قرره من امور
الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً
وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول
مذ بناه الله وارسله الله قصداً او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعاً واجماعاً ونظراً
وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه
عن الكباير اجماعاً وعن الصغاير تحقيقاً وعن
استدامة السهو والغفلة واستمرار الخاطر

253

والنسيان عليه فيما شرعه للامة عصمته في كل
حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب لك
ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر
هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظم فائدتها
وخطرها فان من يحب للنبي صلى الله عليه وسلم
او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه
لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه
ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز
عليه يحل بصاحبه دار البوار لهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو
وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما
انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من
ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما
شيأ فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما
تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
بجهله اذ سمع شيأ منها يرى ان الكلام فيها جملة من
فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك
انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية
يضطر اليها في اصول الفقه وتبتني عليه مسائل
لا تنعد من الفقه وتتخلص بها من تشغيب مختلفي
الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه
وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب
ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج
اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله
عليه وسلم شيأ من هذه الامور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع
الاجماع فيه والخلاف فكيف يصمم في الفتيا
في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص
او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام
او يسقط حقا ويضيع حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب
الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون
ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة
المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين

سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في
حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهب طائفة الى
الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى

لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله وما منا الا له
مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الوية وقوله كرام برره
ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من التسميات
وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للرسلين
منهم والمقربين واحببنا ان شاء ذكرها ان شاء الله
بعد ونبينا لوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط
من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأينا بعض
شيوخنا اشار الى ان لو حاجة بالفقه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام
في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة
ها هنا فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقله المفسرون وما روى عن علي وابن عباس
في خبرها وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه
الاخبار لم يرو منها شيء لا بسقيم ولا صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس هو شيأ يؤخذ بقياس
والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره

وهذه

وهذه الاخبار منكب اليهود وافتراؤهم كما
نصه الله اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان
وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنيع عظيم وها
نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات
ان شاء الله فاختلف اقوال في هاروت وماروت
هل هما ملكان او انسيان وعلى هما المراد بالملكين
اولا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله
وما انزل وما يعلمان من احد حتى نقول انافية او موجبة
فاكثر المفسرين على ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه من قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر
وتعليمهما الناس تعليم انذار اي يقولان لهما
بطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تحتالوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا بفعل هذا فعل
الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن
ابي عمران ذكر عنده هاروت وماروت وانهما
يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقر بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما
فهذا خالد علي جلالته وعلمه ينزههما عن تعليم السحر
الذي قد ذكر عنهما انهما مأذون لهما في تعليمه بشرطه
ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف
لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في

الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية
وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر
سليمان يريد بالسحر التي افتعلته عليه الشياطين
واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين وقال
مكي قيل هما جبريل وميكال بل ادعى اليهود عليهما المجيء
كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت وقيل هما رجلان تعلماه وقال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قرأة
عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان
هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه
السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الاية
على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الزجر عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم
مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة
ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه
وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن
وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان

من الجن

من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع
في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم
من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فخرقوا وامروا
ان يسجدوا لادم فابوا فخرقوا ثم اخرون كذلك حتى
سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها
تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل

من البشر وان جسمهم وظاهرهم خالص للبشر يجوز
عليهم من الافات والتغيرات والالام والاسقام
وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا
بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر
بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب
ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه
وشجه الكفار وكسروا باعيته وسقي السم

وسحر وبداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه
فتوفى صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر
التى لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء عليهم
اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا فى النار واشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم نبينا صلى الله عليه
وسلم من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه بداية
فمنيه يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند
دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون وثير
عند خروجه الى جبل ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابى جهل وفرس سراقة ولم يقه
من سحر ابنى الاعصم فقد وقاه اعظم من سم اليهودية
وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافا وذلك من
تمام حكمته ليظهر شرفهم وهذه المقامات
ويبين امرهم وتتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرفع الالتباس على اهل الضعف فيهم
فلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى بن مريم وليكون فى محنهم تسلية
لامتهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذى
احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى
والتغييرات المذكورة انما تخص باجسامهم البشرية
المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بنى ادم

لشاكلة

لشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة عن ذلك
غالبا معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحى منهم قال
وقد قال عليه السلام ان عينى تنامان ولا ينام
قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى
ويسقين وقال لست انسى وانسى ليستن فى قبره
ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التى تحل ظاهره من ضعف وجوع
وسهر ونوم لا يحل منها شئ باطنه بخلاف غيره
من البشر فى حكم الباطن لو ذا ذا نام استغرق
النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام فى نومه
حاضر القلب كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض
الاثار انه كان محروسا من الحدث فى نومه لئلا يكون
قلبه يقضان كما ذكرناه وكذلك عينه اذا جاع
ضعف لذلك جسمه وحارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه
لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لستكهيئتكم
انى ابيت يطعمنى ربى ويسقين وكذلك قول
انه فى هذه الاحوال كلها من وصب ومرض
وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يحل به ولا فاض
منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى غيره
من البشر مما ناخذ بعد فى بيانه فصل
فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة

انه سحر عليه السلام كما حدثنا الشيخ ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف حدثنا
البخاري ثنا عبيد بن اسمعيل قال ثنا ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت سحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه
انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى انه
كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتهن
الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور
فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف جاز
عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا
الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة
وتدرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها
الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع
والنبي عما يدخل في امره لبساً وانما السحر مرض من الامراض
وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وانما ورد انه كان
يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته
او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه من امر دنياه الذي
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة
للوفاق كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها

ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضاً قد فسر
هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه
انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا
اشد ما يكون من السحر فلم يأت في خبر منها انه نقل
عنه في ذلك قول يخالف ما كان لخبرانه فعله
ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل
ان المراد بالحديث انه كان يخيل الشيء انه فعله
وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت
عليه لاثمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما
اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بياناً من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث
تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاهواء صالح لكل
من يقتفي الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال
فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينكر ببصره ثم دله الله
على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن
الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم
وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر قال
حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة
سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه

والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة
خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان لك
من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط
على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه
وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون قوله
يخيل اليه انه ياتي النساء ولا ياتيهن اي يظهر له
من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء
فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض لعله لمثل هذا
اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر
ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه
انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن انه يرى شخصا من بعض ازواجه
وشاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه
في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في ميزه
واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره
فيه ما يدخل لبسا ولا يحدبه الملحد المعترض انسا

فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل

اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا شيء

وروى محمد بن سعيد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة هذا المخرج من الام بخطه من غير الرواية

على وجه

على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك
او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر
سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس
الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه ثنا سفيان ثنا
مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري
واحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال
حدثني عكرمة ثنا ابو النجاش قال ثنا رافع بن
خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال
انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به
واذا امرتكم بشيء من راي فانما انا بشر وفي رواية
انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت
ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس
في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق
وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر خطئ
واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل
نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها الا
ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه
وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام

لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن
المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه
ام هو الراى والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراى
والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض
حتى ناتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراى
وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم فى الامر
واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه
فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التى لا مدخل فيها
لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه
فيه ما ذكرنا اذ ليس فى هذا كله نقيصة ولا محيطة
وانما هى امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبى صلى الله عليه وسلم
مسحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح
بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة
الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون فى بعض
الامور ويجوز فى النادر وفيما سبيله التدقيق
فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقايق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز فى البشر مما قد نبهنا عليه
فى باب معجزاته من هذا الباب فصل واما ما يعتقد

فى امور

فى امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المفسد من المصلح
فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر
وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحسن
بحجته منه فمن قضيت له من حق اخيه بشىء فلا ياخذ
منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ
ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا
محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه
عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث وفى رواية الزهرى
عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب
انه صادق فاقضى له وتجرى احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكم الله تعالى فى ذلك فانه
تعالى لو شاء لاطلعه على سراير عباده ومخبآت
ضماير امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه
دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة
ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به
فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن
للامة سبيل الى الاقتداء به فى شىء من ذلك

ولا قامت حجته بقضية من قضاياه لأحد
في شريعته لأنا لو نعلم ما اطلع عليه هو في ذلك
القضية لحكمه هو اذاً وذلك بالمكتوم من علم
الله له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا ما
لو فعله الائمة فاجرى الله تعالى احكامه على
ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل
احكامه وبانون ما انوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذا لبيان بالفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول فكان
حكمه على الظاهر اجل في البيان واوضح في وجوه
الاحكام واكثر فائدة لموجبات المتاجر والخصم
وليقتدي بذلك كل حكام امته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وعلى ذلك
عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء، ولا يقدح
هذا في نبوته ولا ينقص عروة من عصمته **فصل**
واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله
واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه
من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب
وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما

طريقه الخبر

طريقه الخبر المحض فما يدخله الصدق والكذب
فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها
فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لاسيما
لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا
ياخذا العدو حذره وكما روى من مزاحه و
دعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين
من صحابته وتاكيداً في تحببهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي
سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا
كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه
بياض وقد قال عليه السلام افلا مزح ولا نقول
الا حقاً هذا كله فيما يأتيه الخبر فاما ما يأتيه غير
الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور
الدنيوية فلا يصح منه ايضاً ولا يجوز عليه ان يأمر
احداً بشيء او ينهى احداً عن شيء وهو بسبيل خلوفه
وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان يكون له
خائنة الا عين فكيف ان تكون له خيانة قلت فان قلت
فما معنى اذاً قوله تعالى له في قصة زيد واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك
زوجك فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان فيه امر زيد
بامساكها وهو يحب تطليقه منها اياها كما ذكر
عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا الباب

ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله
تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه
فلما شكاها اليه زيد قاله امسك عليك
زوجك واتق الله واخفا منه في نفسه ما اعلمه
الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره
بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو
بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم بعلمه ان الله يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح
هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله
مفعولا اي لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا
ان الله لم يبد من امره ومعها غير زواجه لها فقد
انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به
تعالى وقوله في القصة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن
عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه فيما اجل مثال فعله لمن قبله من الرسل
قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين
فيما اجل لهم ولو كان على ما روى في حديث قتادة
من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم
عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان
فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مدة عينيه
لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا

نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا
يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال
القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وفضله
فكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل
يراها منذ ولدت ولو كان الشأن يعجبن منه عليه
السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله
طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه
وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سببه
كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه
وسلم لزيد بامساكها وقد علم نبيه انها
زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ لم يكن بينهما
الفة واخفا في نفسه ما اعلمه الله به قيل طلقها
زيد خشية قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله
بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها ضمانا للتهوم
وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه
انه راها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا ينكره فيه
لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة

262

الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيداً
بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين
وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه
واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول
ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين
من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار
خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله
تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
قال ومن ظن ذلك بالنبي فقد اخطأ قال وليس
معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء
اي يستحي منهم ان يقولوا تزوج زوج ابنه وان خشيته
عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة
ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابناء كما كان
فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله لهم كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه
في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك
الاية كذلك قوله هاهنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لكتم هذه
الاية لما فيه من عتبه وبداء ما اخفاه فصل

فان قلت

فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام
في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه
فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا هزل ولا رضى ولا غضب
ولكن ما معنا الحديث في وصيته عليه السلام الذي
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال
ثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد
وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق
انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن
ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني
اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي ابداً فتنازعوا
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان
الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر وفي رواية اهجر
ويروى اهجراً وفيه قال عمر ان النبي قد اشتد به الوجع
وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال
قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله

صلى الله عليه وسلم كتاباً ومنهم من يقول ما قال
عمر قال ائمتنا في هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه
معصوم ان يكون منه في القول اثناء ذلك ما يطعن
في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان
او اختلال في كلام هذا لا يصح ظاهر رواية
من روى في الحديث هجر ان معناه هذى يقال
هجر هجراً اذا هذى واهجر هجراً اذا افحش واهجر تعدية
هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار
على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح
البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري
المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة
وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه
الطرق وهكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان
وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على
حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل
قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه
عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط
هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق

على حراسته

على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس
واما على رواية اهجر وهي رواية ابي اسحق المستملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعاً الى المختلفين عنده
صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
يديه هجراً ومنكراً من القول والهجر بضم الهاء الفحش
في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه
بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل
قد ظهر من قرائنه قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقالوا استفهموه فلما
اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه
من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع
عمر اما اشفاقاً على النبي صلى الله عليه وسلم من
تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل
عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي قد اشتد
به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب اموراً يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق
بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر
وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجوراً

ونحو هذا

وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله
قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم
بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد
على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل
ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب
في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت طائفة
اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء
بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم
وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس انطلق بنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
على هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله
دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير
من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوه بما طلبتم
وذكر ان الذي طلب كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي
حدثناه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري
ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي قال
ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة
ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله

وقيل كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة
والاختيار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون
فلما اختلفوا تركه من الامر بخطه
وليس من الرواية

عليه وسلم

عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فاي
ما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له
كفارة وقربة وتقربه بها اليك يوم القيمة وفي
رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية
ليس لها باهله وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة و
صلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه
وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب
ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك
ان قوله عليه السلام اولا ليس لها باهل اي عندك
يا رب في باطن الامر فان حكمه عليه السلام
على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم
عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه
عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته
على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله
بها وحذره ان تتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل
دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها
باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه
الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب يحمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد

بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته
او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه
او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه
وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته
الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد
من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن
على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب
وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا
اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته
وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام
لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له
ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق
عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له
زكاة ورحمة ومرية وقد يكون ذلك اشفاقا على
المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل
دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك
سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وعجبة لما اخترم
وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران
كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا

فعوقب

فعوقب فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه
مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ
الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر
الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة
امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير
اولا الى الاقتصار الى بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب
استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اشار
الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر
الحديث فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ حقه الزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه
وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه
وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه
في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله
تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح لم يكن ليتعمد
حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة

قاله وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام
اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى
عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال
الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة
بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول
له تدرك حاجتك وهو ياتي فضربه بعد ثلاث
مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند
نهيه صواب وهو موضع ادب لكنه عليه السلام
اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن عمرو اثبت النبي صلى الله عليه
وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط
وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت
القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما
ضربه عليه السلام لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده
طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل واما
افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها
من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه**
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الند

وراذ

وراذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ
منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه
وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه
او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد
او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق
بصالح اعماله منتظم في زاكي وظايف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف
الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه
لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة
في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل
ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا
مساعة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان
قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى
فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية
مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة
لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من امورهم موالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين

من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا
يقتل اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغيرها
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد
ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من ادنا مياه بدر الى اقربها للعدو من
قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سعت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو
رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليجيب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله
ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه
حتى يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه هذا وسع
الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر
عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي
ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله
لعايشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
الان له القول وضحك معه فلما خرج سالته عن ذلك
فقال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز

ان يظهر له

ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال
فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله
وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه
اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا
الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني
حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة
هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم
ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة
ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل كان واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تخريج الرواة
والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى الاصل المفصل
الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة
وقد اخبرته ان مولى بريرة ابو بيعها الا ان يكون لهم
الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس
في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله
اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا

ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه
النبي عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع
ثباتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع لهم بمعنى عليهم قال
الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون
قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم
من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان
ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس
على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان
شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط
غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ
النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى
قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني
عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا
قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا لذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى
فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحل اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته

في ذلك

في ذلك ولقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان
عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية
فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه
وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك
فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازواجه
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير
انكم لسارقون فليس من قوله يوسف فيلزم عليه
جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التاويل
كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل
قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقبل
غير هذا ولا يلزم ان لا تقول الانبياء ما لم يأت
انهم قالوه حتى يطلب الخلاص ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء
الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء
على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله**
من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكرياء وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه
واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك
ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها حق

وصدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم
لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الله
الذين امنوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في
مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصايرهم في رحمته
الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم و
موعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا
في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو
لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا
الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم
اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي
ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة
ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب
بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى
يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال
تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات

الثلوث

الثلوث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن
في نفسه وولده وماله حتى يلقاه الله وما عليه
خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله
بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة
وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم
على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب وكما روي عن لقمان انه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن
يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له
وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل
جمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه
وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب
يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت
حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه
الا من كان مفطرا فليتعد عند آل يعقوب وعوقب
بالمحنة التي نص عليها وروي عن الليث ان سبب
بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم
فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به

مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة
سليمان لما ذكرناه من نيته فيكون الحق في جنبة
اصحابه او للعلل بالمعصية في داره ولا علم عنده
وهذه فائدة شدة المرض والوجع يا ابني صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك
وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان يده
وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله
ما اطيق ان اضع يدي عليك من شدة حماك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل
حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كان
ليفرح بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن ابن
عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم
البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي
فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم
بمصائب الدنيا تكفر له كفارة وروى هذا
عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة

عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة تشاكها
وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن
من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من
خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه
اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق
الشجر وحكمة اجرى اودعها الله في الامراض
اوجاعهم وتقاعد الاوجاع عليها وشدتها
عند مماتهم ليضعف قوى نفوسهم فينسهل خروجها
عند قبضهم وتخفف عليهم موته النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفوس
لذلك خلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا
وهكذا في رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح
تكفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن
يكفاه البلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء
معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزاء
مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه
بين اقدار الله منطاع لذلك ليّن الجانب

يرضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع
وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وتريحها من حيث
ما انتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلاء
فاء واعتدل صحيحاً كما اعتدلت خامة الزرع
عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلائه منتظراً رحمته وثوابه عليه
فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت
ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ما له فيها
من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها
وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف
هذا معافا في غالب حاله ممتع في صحة جسمه
كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه
قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الماً وعذاباً
ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة وكما قال
تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك
عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته
الصيحة الاية ففجاء جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصيحهم به على استعداد بغتة ولهذا
ما ذكره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم

كانوا

كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي
الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض
تذير الممات ويقدر شدتها شدة الخوف من نزول
الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له
للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد
ويكون قلبه معلقاً بالمعاد فيتصل من كل ما يخشى
تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق
الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية في من يخلفه
وامر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب
التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن
واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص من نفسه
على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة
واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وغيره وبالابصار
عينيه ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته اما
في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم راى الامساك
عنه افضل وخيراً وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه الكفار
لا ملأ الله لهم ليزدادوا اثماً ويستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون وكذلك قال عليه السلام
في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب

المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة
للمؤمنين واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك
لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء واقصى الى راحته
من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح
ومستراح منه وتاتي الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات
منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه
وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى
هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب
لقاء الله احب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن
تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب
والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير
وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى
اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا

رسول الله

رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة
فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق
الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة
اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت
وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار
بمعنى ارعنا نزعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه
انهم لا يرعون الا برعايته لهم وهو عليه السلام
واجب الرعاية بكل حال وهذا وهو عليه السلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه
اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى
يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا
فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى
باجابة دعوته غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك
المنافقين والمستهزئون ذريعة الى اذاه
والازراء به فاذا التفت قالوا انما اردنا

هذا المسواه تعنيتا له واستحقاقا بحقه
على عادة المجان والمستهزئين بحمى عليه السلام
حمى اذاه بكل وجه فمحل محققوا العلماء نهيهم عن هذا
على مدة حياته واجاروه بعد وفاته لارتفاع
وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا
موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصحيح
ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره
وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لان ذلك كان منع من ذلك
به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه
يا رسول الله ونبي الله وقد يدعونه بكنيته
ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روي
انه عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى
اهل الكوفة لا يسمي احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله
بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على
ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد تضمن الكلام

وحكى محمد بن سعيد انه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يشتمه ويقول له فعل الله بك يا محمد
وضيع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب
الا ارى محمدا عليه السلام يشتم بملء
والله لا يدعى محمدا ما وقيت حيا وسماه
عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد
باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغيره
انسماهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء
ثم امسك هذا المخيخ من الارم مخطط
وليس من الرواية

وقد سمى النبي عليه السلام محمد بن طلحة ومحمد بن قال
بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغيرهم والعدد
ما فتا احد كان يكون في عدة محمد ومحمدان ولم
من الارم مخطط وليس
من الرواية

ونهذا

وفي هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول
في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب
او نقص من تعريض او نص او علم او فقد الله وايانا
ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه
او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق
السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه
او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم فيه
حكم الساب يقتل كما تبينه ولا نستثني فصلا
من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نتدرج
فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا
عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عيب في جهته الرفيعة
بنحو من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور
او غيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه
او تعمده ببعض العوارض البشرية الجائزة و
المعهودة له به وهذا كله اجماع من العلماء وائمة
الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
الى يومنا هذا جرى قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام
اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم
يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد
واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل
وهو مقتضى قول ابو بكر الصديق رضي الله عنه

ولو تقبل توبته عنه هؤلاء ومثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي
في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد
بن مسلم عن مالك وحكى مثله للطبري عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن تنقصه عليه السلام او برئ منه او كذبه
وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حدا او كفرا سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولا نعلم اختلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار
وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله
وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن
احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم
النبي صلى الله عليه وسلم المستنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل
ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن
خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك
بن نويرة بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم
وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن
القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط و
العتبية وحكاه معن عن مالك في كتاب ابن حبيب
من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل

ولم يستتب

ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية واشهب
او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره
وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام
مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب
وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او عابه او تنقصه قتل مسلما
كان او كافرا ولم يستتب وفي كتاب محمد اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه
وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال استتاب
ذلك او اظهره ولم يستتب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله
عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى
الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى
ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله
عليه وسلم ويروى رزا النبي ونحو اراد به عيبه
قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان
من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء
من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الحجام يتيم ابو طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابو زيد

بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله
عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم تريدون توبيخ صفته هو في صفة المارق
ولحيته قال ولو تقبل توبته وقد كذب لعنه الله
انه وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد
ابو سليمان صاحب محزون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قال له
لو وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افعل
برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له
ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول
ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابو سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا اشركك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع
لو ان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل
امتهان وهو غير معزز لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى
ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان شاء
او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن خاتم المتفقهة الطليطلي
وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرة
باليتيم وحين جيدره وزعمه ان زهده لم يكن قصدا

ولو قدر

ولو قدر على الطيبات لاكلها الى اشباه هذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم
الغزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم
وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب
للمناظرة وقعت عليه امور منكرة من هذا الباب
في الوسنزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام
فاحضره القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر
بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم
انزل واحرق بالنار وحكي بعض المؤرخين انه لما وقعت
خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته
عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال
لو لغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله
بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
هزم ديستاب فان تاب والا قتل لانه تنقص لا يجوز
ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره
ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع الفروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال في نبينا عليه السلام
ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي
صلى الله عليه وسلم بأذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده

العلماء سبّا ونقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدّمهم ولا متأخّرهم وان اختلفوا في
قتله على ما اشرنا اليه ونبيّنه بعد ان شاء الله تعالى
وكذلك اقول حكم من عمّصه او عيّره برعاية الغنم
او السهو او النسيان او المحو او ما اصابه من جرح
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوّه او شدّة
من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كلّه لمن
نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك
وبأيّ ما يدلّ عليه فصل في الحجّة في ايجاب قتل
من سبّه او عابه عليه السلام ممّن اقرّ
لعنة الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة وقوله
تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سبّ الله
وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر
القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله
الاية وقال في قاتل المؤمن متعمّدا مثل ذلك فمن لعنه
في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتّلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر
عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخرّاصون قاتلهم الله
اني يؤفكون اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما
واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل
من الضرب والشتم فكان حكم مؤذي الله ورسوله
اشدّ من ذلك وهو القتل وقال تعالى فوربّك

لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم الاية
فشلت اسم الايمان عمّن وجد في صدره حرجا من
قضائه ولم يسلّم له ومن تنقصه فقد نافى
هذا وقال تعالى يا ايّها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبيّ الى قوله ان تحبط اعمالكم
ولو يحبط العمل الّا بالكفر والكفر يقبل وقال تعالى
واذا جاؤك حيّوك بما لم يحيّك به الله ثمّ قال جهنّم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبيّ ويقولون هو اذن ثمّ قال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
ولئن سألتهم ليقولنّ انّما كنّا نخوض ونلعب الى قوله
قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الاثار فحدّثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمّد بن غلبون عن الشيخ ابو ذر الهروي
اجازة قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن
حيويه ثنا محمّد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمّد بن
الحسين بن زيالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن
علي بن موسى عن ابيه عن جدّه عن محمّد بن علي بن الحسين
عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم قال من سبّ نبيّا فاقتلوه ومن
سبّ اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح ان النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم يقتل كعب بن الاشرف وقوله

276

من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله
ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه
لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال
البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل
بقتل ابن خطل وهاربيه اللتين كانا تغنيان
بسبه عليه السلام وفي حديث اخر ان رجلا
كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
فقتله وكذلك لم يقل جماعة ممن كان يؤذيه بالهجاء
ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا
الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى
يا معاشر قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي
فقال الزبير انا فيا نذره الزبير فقتله وروى ايضا
ان امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني
عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى
ان رجلا كفر على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث

عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان
رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله سمعت اوس يقول فيك قولا قبيحا
فقتله فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر
رضي الله عنه ان امرأة هناك في الردة غنت
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها
ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت
لو مرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس كسائر الحدود
وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من لي برجل من قومها انا يا رسول الله
فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له
ام ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها
فلم تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي
صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث
ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل
وغيره واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب
ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ
لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله
دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد

277

الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي
ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله
عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن
عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره
في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب اليه
عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا
رجل سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن سب
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومولفي اخباره
وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه
او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب
فيكون الخلاف على هو سب او غير سب ويكون رجوع
عن سبه فلم يقله مالك على اصله والاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة
النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام

قد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء
طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة
وهو رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول
الثوري وابو حنيفة والكوفيين والقول الآخر
انه دليل على الكفر فيقتله حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع
عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفره كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعتراف
بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو
كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى
ومنهم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا
ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولا يستتاب
فدعوى دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه
فاضربوا عنقه ولان حكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة مزية على امته وسابه الحر من امته
يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل فان قلت لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم

اليهودى الذى قاله السام عليكم وهذا دعاؤه
عليه ولو قتل الاخر الذى قاله ان هذه لقسمة
ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبى صلى الله عليه
وسلم من ذلك وقال قد اوذى موسى باكثر من هذا
فصبر ولو قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه فى
اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان
ويزينه فى قلوبهم وبداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم
يدارى الكفار والمنافقين ويحمل صحبتهم ويغضى
عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاتهم لما يجود لنا
اليوم الصبر عليه وكان يرفقهم بالعطاء والتحبب
وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع
على خائنة منهم الا قليلا فاعف عنهم واصفح ان الله
يحب المحسنين وقال ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى
بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وذلك لحاجته اليهم
للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما
استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر
عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله
يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم

اوغلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط
فى جملة مظهرى الايمان به ممن كان يوذيه كابن
الاشرف وابى رافع وعصبة وكذلك نذر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهم ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوة مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحمله عليه السلام
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها
القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها
اذا مست وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع فى
فيئهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه
عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر
اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما قال الظاهر واخلص سرا كما اظهر جهرا وتفقه
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وامراء
وحماة وانصارا كما جاءت به الاخبار وبهذا
اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقيل لعله لم يثبت عنده عليه السلام من احوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ومثله لا يصل رتبة
الشهادة فى هذا الباب من صبى او عبد او امرأة
والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا
يحمل امر اليهود فى السام وانهم لو رأيا السنتهم
ولم يسمعوه لو ترى كيف بهت عليه عائشة

ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا
نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم
وقلة صدقهم في سلامهم وحياتهم في ذلك
لتابا لسنتهم وطعناً في الدين فقال ان اليهود
اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا
وعليكم وكذلك قال بعض اصحابنا من البغداديين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم
فلهذا تركهم وايضاً فان الامر كان سراً وباطناً
وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل
الذمة والعهد والجوار والناس قريب عهدهم
بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع خبر المذكورين في العرب كون مزيتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وانصار الذين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم لنفاقهم وما يبدوا منهم وعلمه بما
اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وارجعت المعاند وارتاع من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام
غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو والظالم
ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة
وقد رايت معنا ما حررته منسوباً الى مالك
بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام

لا يتحدث

لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه وقال
اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود
الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر
المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه
عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار
وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا
قليلاً ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلاً سنة الله الاية قال معناه اذا ظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط
عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما كان
قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي
صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا
والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا
وراءه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء

الا بما لا بد منه من الموت الذى لا بد من لحاقه
جميع البشر وقيل بل المراد تسمون دينكم والسام
والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين
ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخارى على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمى او غيره بسب النبى صلى الله
عليه وسلم ولم يصرح قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضى
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب فى حقه
عليه السلام سواء وقال القاضى ابو محمد بن نصر
مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يرد
فى هذا الحديث هل كان هذا اليهودى من اهل العهد
والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر
المحتمل والاولى فى ذلك كله والاظهر من هذه
الوجوه مقصدا لاستيلوف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخارى على حديث
القسمة والخوارج باب من ترك قتل الخوارج للتالف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره
وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له فى قتل من عينه منهم وانزل لهم منصا صبهم
وقذف فى قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء
واخرجهم من ديارهم وحرب بيوتهم بايديهم وايدى
المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة

والخنا

والخنازير وحكم فيهم بسيوف المسلمين واجلاهم
من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عائشة
انه عليه السلام ما انتقم لنفسه من شئ يؤتى اليه
قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضى انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه وكيف
فان هذه من حرمات الله التى انتقم منها وانما
يكون ما لا ينتقم منه له فيما تعلق بسوء ادب ومما
من القول والفعل فى النفس والمال مما لم يقصد
فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفا
والجهل وجبل عليه البشر من الغفلة كجذب الاعرابى
ازاره حتى اثر فى عنقه وكرفع صوت الاخر عنده
ويجد الاعرابى شاءه منه ونسه التى شهد فيها
خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه ولشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا
ان اذى النبى صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز فعل
مباح ولا غيره وانما غيره من الناس فيجوز فعل
مباح ما يجوز للاذى فعله وان تأذى به غيره
واحتج بقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
وبقوله عليه السلام انها بضعة منى يؤذينى
ما اذاها الا واقى لا حرم ما احل الله ولكن
لا يجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل

281

ابدأ او يكون هذا مما اداه به كافرا وجاء بعد ذلك
اسلامه كعفوه عن اليهود الذي سحره وعن الاعرابي
الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قتل
قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب
والمنافقين فضفح عنهم رجاء استيلافهم غير مرة
كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام
في قتل القاصد لسبه والوزراء به وتعرضه
باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين
لا شكال فيه الوجه الثاني لو حق به في البيان
والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته
عليه السلام غير قاصد للسب والوزراء ولا معتقد
ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر
من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز
عليه او نفي ما لا يجب له مما هو في حقه عليه السلام
نقيصة مثل ان ينسب اليه ابانا كبيرة او مذمة
في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او نقص من
مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده
او يكون بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام
وتواتر الخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه
عن قصد لرد خبره او باق بسفه من القول او قبح
من الكلام ونوع من اللعب في جهته وان ظهر
بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه
انما بجهالة حملته على ما قاله او لفظ اوكر

اضطر اليه

اضطر اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه
وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر
احد في الكفر بالجهالة ولا يدعوى زلل اللسان
ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى
الاندلسيون علي بن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي قرمناه وقال محمد بن
سحنون في المأثوريب النبي صلى الله عليه وسلم
في ايدي العدو يقتل ان علم نصره او اكراهه
وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان
ومثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي
صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به
انه يعتقد هذا او يفعله في صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود
لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من
زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا لزمناه الطلاق والعتاق
والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد
لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه زل
فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن
في خبايا تها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا

282

عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المزيل

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس نبيا ولم يرسل اولم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ يقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد وينتابان وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقال بعض القرويين اذا قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس وقال بعد تبكيتهم نبيا انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك

لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من سب في حرف مما جاء محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عندا لامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يبعث او انه كان تاجرا ولم يكن بنبي قتل لان هذا نفي قال حبيب بن نزيع ينظر صفته ومواضعه كفر ونفي المظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل ولا استتابة

فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من الكفر او تشره فهنا متردد النظر وحيرة العبر ومنطة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين لهلك على من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرء الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا

في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى
عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه
قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه
لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج
لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون
لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه
وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن
معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه
وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة
يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي
فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له
بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعله صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي
وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان
ولو كان نبيا مرسلا بشدة بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل
على مصدره هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم
انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن
ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين

والمتأخرين

والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم
لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
لا بد من انعام النظر فيه هذا معنا كلامه وحكي
عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله
العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر
انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك
افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لا اعلم
من حرمه وفي من لعن لا يبيع حاضر لباد ولعن
من جاء به لانه ان كان يعرف بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا
لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله
وانما لعن من حرمه من الناس على فحوى فتوى
سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا
ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلبة وشبهه
من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد
من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل
بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة
الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه
من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول

في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم
وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في اياته
او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين
تقتضي تخصيص بعض اياته واخراج النبي صلى الله
عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى
بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم
انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي رحمه الله
وقد اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر
يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي
ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار
وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو
من هذا وسدد القاضي ابو محمد تصنيفه
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد
عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن
ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله
محمد بن عيسى ايام قضائه اتى رجل هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له
قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه

لفيف

لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي
الرتبة باعتقاده ضربه بالصوت واطلقه

فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر
عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه

او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة
عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
او لغيره او على التشبيه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق
التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره
او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام
او قصد الهزل والتنذير لقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت
فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم
انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم
او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه
وحلم عن اكثر مما صبرت وكقول المتنبي
انا في امة تداركها الله • غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في قول المستاهلين
في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب
غير ان ليس فيكما من فقير • على ان اخر البيت
شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء

والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل
حال غيره عليه وكذلك قوله • لولا انقطاع الوحي بعد محمد
قلنا محمد من ابيه بديل • هو مثله في الفضل الا انه
لم يأته برسالة جبريل • فصدر هذا البيت الثاني
من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله
بالنبي والعجز يحتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة
نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر • واذا ما رفعت راياته
صفقت بين جناحي جبرين • وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا • فصير الله قلب رضوان
وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد
المعروف بالمعتمد ووزيره ابو بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضي • وحسان حسان وانت محمد
الى مثل هذا وانما كثرنا بشواهد مع استثقالنا حكايتها
لتعرف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا
الباب لضنك واستخفافهم قادح هذا العيب وقلة
علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم
من علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء
واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى
حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا
عنه وعرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن شيئا

ولو اضاف

ولو اضاف الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني
عجزي بيتي المعري ولا قصد قايلها ازراء وغضا
فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة
الاصطفاء ولا عزر خطوة الكرامة حتى شبه من شبه
في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها
او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اعلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره
والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع
الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به وما لوف عادته لمثله او ندوره
وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل
المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد
على ابي نواس قوله • فان يك باقي سحر فرعون فيكم
فان عصى موسى بكف حصيب • وقال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عسكره
من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا
وكفر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه
بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها
خلقا وخلقا كما قد الشراكان • وقد انكروا ايضا على الاخر
قوله في ممدوحه وكيف لا يذنبك من امل • من رسول الله من نفره
لان حق الرسول وموجب تعظيمه واناقة منزلته
ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا

ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت
فتياء امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه
ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير
رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مالك وقد عرض بذكر
النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب
قال لا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا
قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له
قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله
وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل
القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل
عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء
اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي
اراد روع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف
النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد
لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة
وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع
على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد
جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون

المعبس له

المعبس له يد فيذهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمة
صفته مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه
لله يغضب غضب مالك فيكون احق وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس
بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد
ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت
فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فيمتنع
عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب
مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن
اما اطلاق الكفر عليه فخطاء لكنه مخطئ في
استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكان النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب
واعترف ولجاء الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي
الى احد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا
مسئلة استفتي فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا
القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه
آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر

وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه
وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد
السب وكان بعض فقهاء الاندلسيين افتى بقتله

فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر

في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم
باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهية والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار عليه والاعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب
او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن تصدى لئن يؤخذ عنه العلم او رواية
الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق
وجب على سامعه الاشاذة بما سمع منه والتنفير
للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من
بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره
وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق
سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة
او يؤدب الصبيان فان من هذه سيرته لا يؤمن على
القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل
بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم
واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا
وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به
الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي
الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن زيد
عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه
ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به
ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك
واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين
فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا
اثرا لغير غرض شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة
فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى
مقالات المفترين عليه وعلى رسوله في كتابه على وجه
الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه
والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين

في كتبهم ومجالسهم ليبيّنوها للناس وينقضوا اشبهها
عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض
هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده
على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه
السابقة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا
من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس
ومقالتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني
فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة
من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي
عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له
وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب
اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول
القران مخلوق فقال مالك هو كافر فاقتلوه فقال
انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه
انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له
او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف

والتحفظ

والتحفظ لمثله في طلبه او رواية اشعار هجوه
عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه
يواخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم
بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع
اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابته وقراته وتركه متى وجد
دون مجو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الاشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قايلها واخذه المفتري عليه
بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى
فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره
فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه

عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها
اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته
من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله

وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومرّ عليه
من معاناة عيشه وكل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت به العصمة للانبياء
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة اذ ليس فيه عمض ولا نقض ولا ازراء
ولا استخفاف ولو في ظاهر اللفظ ولا في مقصد
اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم
وفقهاء طلبه الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق
فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه ويخشى
فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف
لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف مرتهن
ونقص عقولهن واد راكهن فقد قال عليه السلام
مخبراً عن نفسه باستجاره لرعاية الغنم في ابتداء
حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبر الله
بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لو تعضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من
قصديه المغاضة والتحقير بل كانت عادة في جميع
العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج الله
لهم الى كرامته وتدرب برعايتها لسياسة امتهم
من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الاولى ومتقدم
العلم وكذلك قد ذكر الله نبيه وعبيله على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها
على وجه تعريف حاله والخبر عن ابتداء به والتعجب

من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه
عضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه
من شراذمهم شيئاً فشيئاً ونمى امره حتى قهرهم وتملك
من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم
غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالرعب
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متعقد من احسب كثير
من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى
علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه
هل في اباءه من ملك ثم قال ولو كان في اباءه ملك
لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب اوميا وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب
وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به
فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة
بطريق المعارف والعلوم مع ما منح به صلى الله
عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم
الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ
ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العجز ومعجزة البشر وليس في ذلك

نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وانما هي آلة لها وواسطة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة
والسبب والامية في غير نقيصة لانها سبب الجهالة
وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا شق قلبه واخراج خشونة كان تمام حياته
وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر
ما روى من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس
والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره
وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية
بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب
احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرنا
فمن اراد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا
ومن اراد ذلك على وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره
واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال
وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك
من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال

ما يدعوا

ما يدعوا الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له
ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء
وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف
بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس
تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على
قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم
في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه
فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب
الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى عرض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها
وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من امن ومنهم
من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المفاد واهية الاسناد وقد انكر
الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكلة الكلام
على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة
عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها
اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها

واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفا للنفس

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه

في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدايد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنه واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ واداب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز الا ما علم وهل يمكن الا ان يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل بقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي وموافقة بعض الصغاير فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب

او يفعل

او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجابرين قد قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا من الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر ويوهنه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكباير بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القران حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومنتقصه وموذيه وعقوبته

وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب
واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقايله او تخيير الامام في قتله
او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق
ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا
بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا
من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة
كساير الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب
لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد في مثله واما
ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف
في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار
في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف حقنا
انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال
اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا
على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل
وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم

اقوى

اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم
لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث
واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي رحمه الله
تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم
بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين
الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال
القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته
والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع
المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس
سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة
لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره
من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه
حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف
فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا
فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذلك به من زنا او سرقة
وغيرها ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع

الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم
لان سبه لم تكن جملة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف او لانه بتوبته واظهاره انابته رفع
عنه اسم الكفر ظاهراً والله اعلم بسريرته وبقي حكم
السب عليه وكلامه شيء خالفوا فيه مبني على القول
بقتله حداً لا كفراً وهو يحتاج الى تفصيل واما على ما
الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم الجماعة فقد صرحوا
انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابا
قتل فحكمه له بحكم المرتد مطلقاً في هذا الوجه والوجه
الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام
فيه فنقول منه ما يره ردة فهو يوجب القتل فيه حداً
وانما نقول ذلك مع فضلين اما مع انكاره ما شهد
عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فقتله
حداً لثبات كل الكفر عليه في حق الله وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغيره
حكم المرتدين اذا اظهر عليه وانكر او تاب فان قبل
فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة ونوابعها
قلنا نحن واذ اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعم ان ذلك كان منه هزلاً او معصية

وقال ابو عمر انما اقتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل وليست توبته لانه اسقط من حقوق الله وحقوق المسلمين التي لا تسقط عن المرتد

هذا لم يخرج بخطه سقط من الرواية وليس هو

وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت
جميعها كقتل تارك الصلاة واما من علم منه انه
سبه معتقداً لوجوبه فلا شك في كفره بذلك
وكذلك ان كان سبه في نفسه كفراً كتكذيبه او جحوده
ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه
لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حداً لقوله
ومتقدم كفره والله بعد الى الله المطلع على صحة
اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف
بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كما قدمنا يستحق
هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كما قررنا في غيره
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء وتزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها واجراء اختلافهم في الموازنة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله

فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تلزم فهو خلاف
فيها في توبة المرتد اذا لم يرفق وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم
الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة على وجوب قول عمر في الاستتابة ثم
احد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال عطاء ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق
واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير

وانه

والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله
ولكن لدرء القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
من بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كل
ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسود
وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك
سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق
وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل
النساء في الردة به قال ابو حنيفة رحمه الله قال
مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك
سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن
عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه
عن عمر وهو احد قول الشافعي وقول احمد واسحق
واستحسنه مالك وقال لو ناتي الاستظهار الا
بخبر وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد
بن ابي زيد يريد في الاستتابة ثلاثا وقال مالك
ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال
ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا ايامان
عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر

الصديق

الصديق انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله
الشافعي مرة فقال ان لم تتب مكانه قتل واستحسنه
المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات
فان اباد قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري
ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلاث مرات وثلاثة ايام او ثلاث جمع يوم
او جمعة مرة وكتب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد
الى الاسلام ثلاث مرات فان اباضربت عنقه واختلف
على هذا هل يهدد ويشدد عليه ايام الاستتابة يرتب
ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تخويفا
ولا تغطيشا ويوقى من الطعام بما لا يضره وقال
اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واى
المواضع حبس فيها من السجن مع الناس او وحده
اذا استوثق به سواء ويوقف مع ذلك ماله اذا
ان ينفقه على المسلمين ابدا كلما رجع وارتد وقد استتيب
النبي صلى الله عليه وسلم بنهان الذي ارتد اربع مرات
او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما
رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال
اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الثالثة
قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج

من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى
ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي **فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار**
او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه
بما شهد عليه الواحد او الليف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب
على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل
ويسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه او ضعفها او كثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون
فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن
والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما
لا يمنعه القيام الضرورية ولا يعقده عن صلاته
وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف على قتله
لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف
حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب
محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقال سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل

احدهما

احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاف عايق اشكل
في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه
من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره
يشد في القيود شدا ويطيق عليه في السجن
حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى
مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط وبالسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة
شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين
فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما
عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط
الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن
يليق به فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما بلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد
**فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه**
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا
وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل

ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في
دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم يعاهدهم ولم نعظم الذمة على هذا ولو
لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا
كفارا يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لو تسقط
حدود الاسلام عنهم من القطع في السرقة اموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا لو
عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون به وورد لاصحابنا ظواهر تقتضي
الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحاب المذهب
واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط القتل
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر ونعلم انه
وتنقصه بقلبه لكن منعناه من اظهاره فلم يرد
ما اظهر الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا
رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

والمسلم

والمسلم بخلاف اذا كان طعنا باطنه حكم ظاهره
وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه
ولو سننا منا الى باطنه اذ قد بدت سرايره
وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله
لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه
لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة
فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقط عنه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه
من قتل او قذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان
لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبيا من اهل الذمة
او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم
وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن
سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولا لو سلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب
محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك
الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن
ابن عمر انه راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم

في ذمي قال ان محمداً لم يرسل الينا انما ارسل اليكم
وانما نبينا موسى وعيسى ونحو هذا لا شيء عليهم
لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس
بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء
تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير
ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمداً رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا
الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم
النبي شتماً يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك
غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحل قوله
عندي ان اسلم طايعاً قال ابن سحنون في سؤالات
سليمان بن سالم في اليهودي يقول المؤذن اذا
تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل
وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل
لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا او اخذ اموالنا فاذا قتل واحداً منا
قتلناه وان كان في دينه استحلاله فكذلك
اظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل لنا
اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبهم له لم يجز لنا ذلك

في قول

في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سبه منهم
ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي
ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه
مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه
مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي
عن المذنبين في ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال عيسى خلق محمداً فقال يقتل
وقال ابن القاسم سألنا مالكاً عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
فهو الان في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب
تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال مالك
ارى ان يضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم
فيها بشيء ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال
ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه
بالنار وان شاء قتله ثم حرقه جثته وان شاء
احرقه بالنار حياً اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب
الي مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم
المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت
بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك
وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره

ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك قتل وحرق
وافتى عبد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف
اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفي الربوبية وبنبوة عيسى لله وتكذيب محمد
في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به
قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن
الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله
ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه
باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما
حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي او غيره
فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف لكن انظر ماذا يجب عليه
هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويجلد ثمانين
فتامله **فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم وغسله والصلاة عليه**
اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه

كفر الزندقة

كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين
ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به
فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشاذة فالحكم
في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل
حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر
بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه
وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابا التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن ويستر عورته
ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه
كافر مرتد غير تاب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ
وكذلك في كتاب محمد بن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة
من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن
كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد
لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي
ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله
اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد
بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي
يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي

فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله
تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقتل
انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب
ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
او اعلن دينا بما يقارف به الاسلام ان ميراثه
للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا يرثه ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي
وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك
فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين
وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته
من المسلمين قامت عليه بينة بذلك فانكرها او اعترف
بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره
او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع
عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين
لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه
وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد

وسحنون

وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف
بما شهد عليه به تاب وقتل فلا يورث وان لم يقر
حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا
فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم
بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه
وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمين فاجاب
انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا
معنى قوله واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه

وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى
من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا
ان يكون افتراؤه على الله بارتداده من دين دان به
واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال
في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قتل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي

حكاه القاضي ابن نصر عن المذاهب وافتى ابو محمد
بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله
فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني
فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه
وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة
في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض
لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب
هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان
مضمن قوله تجوير الله تعالى وتظلم منه والتعريض
فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل
في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه
وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار
الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
وبعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان
لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل
في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته

واذا

واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب بمعنا الارتداد
فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك وحكم هذا حكم المرتد
يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب
مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف
في فصوله **فصل واما من اوصاف الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة**
وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد
والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه
او نعت بخارجة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف
السلف والخلف في تكفير قايله ومعتقده واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم
اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة
في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم ويستبين
توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز
في الخوارج وعبد الملك الماجشون وقول سحنون
في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا
وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من
قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية
والقدرية ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف

لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسره
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله
ايضاً ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم
قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر
اهل البدع قال مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء
قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليماً استتيب فان تاب والا
قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضاً عن سحنون مثله فيمن قال ليس الله
كلام انه كافر واختلف الروايات عن مالك فاطلق
في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجوه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
وروي عنه ايضاً اهل الاهواء كلهم كفار وقال
من وصف شيئاً من ذات الله تعالى واشار الى شيء
من جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه
شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضاً في رواية ابن نافع يجلد
ويوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن
بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي
ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله

التستري

التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف بقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف
قوله في عادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر
عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر قول السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن
لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله
ابن المبارك والاوزاعي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين
وهو قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين
فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة
واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
ممن روي عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن
ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة
من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجرى احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع
يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد
في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله
وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال
ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضاً في امر الدين

من سبيل الحق والجهاد وفساد اهل البدع معظمة
على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يكفوت
بين المسلمين من العداوة **فصل في تحقيق القول**
في اكفار المتاولين فذكر مذاهب السلف
في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين
ممن قال قولا يؤدي به مساقة الى الكفر هو اذا وقف عليه
لا يقول بما يؤدي به قوله اليه وعلى اختلاف يختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من نص على التكفير
الذي قاله الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم
اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء
والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال وبوارثهم
من المسلمين ويحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون
في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير وضده واختلف
قول مالك في ذلك ويوقفه على اعادة الصلوة
خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر
امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا
يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو
اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال بعض
كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتاويل لا يحل

مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلوة على ميتهم
ويختلف في مواريثهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا نورث ميتهم ونرثهم من المسلمين ولا نورثهم
هم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله
ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل
بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم
او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به
وهو كافر ومثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في مختصره
لابي محمد عبد الحق وكان سئل له عن المسئلة فاعتذر له
بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة
او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيره من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل
فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ
في ترك الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من دم
مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها اي
الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترفع ويستباح خلوفها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة
في الباب معترضة للتاويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم له في الاسلام وتسمية
الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك

303

في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من
يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق
التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك
وقد ورد مثله في الربا وعقوق الوالدين
والزور وغير معصية واذا كان محتملا لامرين فلا يقطع
على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم
من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتلى تحت
ادیم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا رأيتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكلام لا سيما تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخبار التي
من قبلهم خرجوهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله
من الحديث نفسه تقتلون اهل الاسلام وتقتلهم
ها هنا حد لكفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للقتال
وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد
في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال
لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن
القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يرسخ
قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين امروقا نهم
من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على
فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه قد تبين
من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنا لا يجاوز
حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له

صدورهم

صدورهم ولا تقبل به جوارحهم وعارضوهم بقوله
ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي الشك في حاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
في هذه الامة ولم يقل يخرج من هذه وتحريف سعيد
الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بقي لو تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة تخالف لفظة
من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد
عد في ذي وعلي وابي امامة وغيرهم وهذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني
مشتركة فلا يقوون على اخراجهم من الامة بقي ولا على
ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد شاء
في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة
فقه الصحابة وتحقيقهم المعاني واستنباطها
من الالفاظ وتحريهم لها وتوقيهم في الرواية هذه
المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق
فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم
ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله المجمل به لا يكفر احد
بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كافر
تشبيها لله بخلقه وتجويزا له في فعله وتكذيبا
لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له
الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان
ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله

304

وهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا
ان يكون ممن يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب
عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال
المجتهدين في اصول الدين فما كان عرضة للتاويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذا جمعوا سواه
على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ
فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما
قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله انه يستفرغ
الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا وغيرهم وقال
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من
العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود
وغيرهم لا حجة لله تعالى عليهم اذ لم يكن لهم طريق
يمكنهم معها الاستدلال وقد يحكى الغزالي قريبا من هذا
المعنى في كتاب التوقف وقائل هذا كله كافر بالاجماع
على كفر من لم يكفره احدا من النصارى واليهود وكل
من فارق دين الاسلام او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر لان التوقف والاجماع على
كفرهم متوقف في ذلك فقد كذب النص والتوقف
او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع
الا من كافر فصل في بيان ما هو من المقالات
كفر وما يتوقف فيه او يختلف وما ليس

بكفر

بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه
مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين
فيه ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر فمقالة
الدهرية وسائر فرق الاثنين من الدهرية والثنوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او النجوم او النار او اخذ غير الله من مشركي
العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من
الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله وحدانيته
ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا
او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه
في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم
سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الوثنية من الفلاسفة والمجبرة
والطبايعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج
اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول
بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والغلاة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقاءه
او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية

او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد
في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب ركابها
وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية
ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
خصوصا او واحد من الانبياء الذين نص الله
عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة
ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه
جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الروافضة وان كان بعض هؤلاء
قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان
بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد عليه السلام
ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة
المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل
من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها
الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع
وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل

والارتياب

والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف
الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك
في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به
او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او
قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك
نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان كل جنس
من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان
من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى
ان توصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلاف وتكذيب
قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة
بما تقدم وبنبوة نبينا عليه السلام ولكن
قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي
كان بمكة والحجاز وليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده
كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته
الى العرب وكالحرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في
الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك
كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة

والجحة وكالبزيغة والبيانية منهم القائلين
بنبوة بزيع وبيان واشباه هولاء اومن ادعى
النبوة لنفسه اوجوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه
وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل
الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهولاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي
بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل
كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل
ولا تخصيص فلا شك في كفر هولاء الطوائف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خصّ حديث
مجمع على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان
بغير ملة الاسلام من الملل او وقف فيهم وشك
او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه
فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك
وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يؤول به
الى تضليل الامة وتكفير جماعة الصحابة

كقول

كقول الكيلية من الرافضة بتكفير جميع ائمة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرة
عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولاء
قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ نا قلوه كفروه
على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه
بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بزعمهم النبي
صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد
الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم
لعنه الله عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك
يكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر
وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم والشمس والقمر والصليب
والنار والسعي الى الكنايس والبيع مع اهلها
والزي بزيهم من شد الزنانير ومخض الترس فقد
اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه
الافعال علامة على الكفر وان صرح صاحبها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير طائفة
بفعل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه
بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض
غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من
كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم

307

ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوات
الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله
علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى
هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك
اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار
وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرايض اسماء رجال
امروا بولايتهم والخبايث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة
وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى
اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرايع عنهم
وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام
او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال
القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي
صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا
ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيرهم ان كان ممن يظن به
علم ذلك وممن خالط المسلمين واشتدت صحبته لهم الا
ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك
ان تسئل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين
فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك

وان تلك

وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي
الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول والمسلمون
وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة
هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله
بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا
بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث
وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري
ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول
الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاستراته
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت
عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر
القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه
كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس
بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة
ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري
انه لا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة
في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما
ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله

308

كما خالف فهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وبضربه
القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص به القرآن
بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس و
مصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولو قرب
عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح
النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم عن
ناقليه فكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه
تستتر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب والعقبة فهو كافر باجماع
المنصوص عليه واجماع الامة على صحة نقله المتواتر
وكذلك من عرف بذلك ولكنه قال ان المراد
بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب
معنى غير ظاهرها وانها للذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت
او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل
العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع
بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل
من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من اخبار
والسير والبلدان التي لا ترجع الى ابطال الشريعة
ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار معرفة

تبوك او مؤته او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافته
على مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره بجحد بعيد
فلا وسبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع
العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كما كان
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه
فاما من ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين
ووهم المسلمين اجمع فتكفيره بذلك لسريانه الى اكثر
الشريعة فاما من انكر الاجماع المحرر الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع
لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا
الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع
الذي يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف
في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف
اجماع السلف على احتجاجهم به حارق للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله
هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده

309

وانه لا يكفر احد بقول ولا راى الا ان يكون
هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله
ورسوله او جمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر
او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله
او فعله لكن لما يقاربه من الكفر فالكفر بالله
لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله
تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله
ورسوله او يجمع المسلمون على ان ذلك لا يكون
الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس
بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون
ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال
فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم
ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى
صفة من صفات الله تعالى لذاتية او جحدها
مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات
الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع
على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها
وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام
فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن
ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري

مرة

مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه
لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه
دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله
حق واحتج هولاء بحديث السوداء وان النبي
صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد
لا غير وبحديث القائلين لئن قدر الله علي وفي
رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا
ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر
عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدر
ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس
البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن
ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك
فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو
من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق
ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها او غضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع
والخشية التي اذهلت لبه فلم يواخذ به وقيل كان
هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته
الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف

وله امثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر او يخشى
وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول
عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا
في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال
بالمال لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه
كفر لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه
قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل
من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم
بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم ولم ير
اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي
الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول
ان قولنا لا يؤول اليه على ما صلناه فعلى
هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل
واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف
الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض
عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم
في قصاصهم ووراثتهم ومناكحتهم وديانتهم والصلاة
عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة

الصدر

الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر
ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا
ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا ولكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قد احوالهم
لانهم فساق وضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا
لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب وقال
القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد
والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء
الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع
في اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون
على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل
قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى
عن اعادته بحول الله **فصل هذا حكم المسلم
الساب لله تعالى واما الذمي فروي**
عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج
ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال
مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن
القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون
من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي

به كفر واقتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم
قال في المبسوط طوعاً قال اصبغ لانه الوجه الذي
كفر واهو دينهم وعليه عوهد ومن دعوى الصابئة
والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم
وكتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى
بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لو قتل حتى يستتاب مسلماً كان او كافراً فانه
ان قتل وقال المطرف وعبد الملك مثل قول
مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى
بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا
قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبد الله وابن الماجشون
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفيما هم بقتلها
لسبها بالوجه الذي كفرت به لله وللنبي واجماعهم
على ذلك وهو نحو القول الاخر فمن سب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك
بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان
لا يظهروا لنا شيئاً من كفرهم وان لا يسمعونا شيئاً
من ذلك فمتى فعلوا شيئاً منه فهو نقض لعهدهم
واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه
خرج من كفر الى كفر وقاله عبد الملك بن الماجشون

يقتل

يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه
جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره **فصل**
هذا حكم من صرح بسبه واضافه ما لا يليق
بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه
تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال
ليس لي رب او لم يتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكر
او غمرة جنون فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه
مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته
على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فسقه لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفعه
عن شديد العقاب لكون ذلك زجراً لمثله
عن قوله عن العودة لكفره او جهله او من تكرر
ذلك منه وعرف استهانته بما اتاه فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالمزندق
الذي لا تؤمن باطنه ولا تقبل رجوعه وحكم
السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه
فاعلم انه قاله من ذلك وحال غمرته وذهاب ميزه
بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال
ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة
على سوء الخلق تراض وقد حرق علي بن ابي طالب

312

م س

رضي الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل
عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك
من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق
مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته
وكذلك حكموا في ابن العواقر وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد
يوم اذن ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن
عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة
واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي
رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب حبيب ومحمد
في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه
وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب
في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا
بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن
ابي زيد فيمن لعن باريه وادعى ان لسانه ذل وانما
اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الاخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن
القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب
فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا

كفر

كفر المتلاعبين **فصل واما من تكلم من سقط القول
وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل**
لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة
مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله
من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا
في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل
على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن اخت عجب وكان خرج
يوما فاخذه المطر فقال بدأ الحرار يرش جلوده
وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية
وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا
عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
تكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى
بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه
ثم ننصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمان بن
الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب
من خطاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه

وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القضية وويح
بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من تلك
الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا
وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها
وشنعة معناها وصورة حال قايلها وشرح سببها
ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل
نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال
ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شي عليه
قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه
والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على
اعتقاد انزله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله
وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومنهمهم في هذا الباب
واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما تنزه
كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا اننا قصدنا
قص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكر علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا
من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب
رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام
الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم
في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب
تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله

قال

قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول
والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن
عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر
اسمه في كل شي حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل
كذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل
ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله
خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا
الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته
اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله جل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في
باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها والموفق لله **فصل وحكم من سب سائر
انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم**
او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا
عليه السلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل
امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب

ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء
او احداً منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم
من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون
عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم
وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي
بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله
تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكاً
من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك
فيمن قال ان جبريل اخطاء بالوحي وانما كان
النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم وكان النبي اشبه بعلي من الغراب
بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من
كذب باحد من الانبياء او تنقص احداً منهم او برئ
منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي
قال الاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف
انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل
المصنف وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة
الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه
من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه
او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق

عليه

عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما
ما لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على
كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت
في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم
واسيه وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس
وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورجون نبوته
فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم يثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم
واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما
من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت
نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج
لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس
زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس
لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام
في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفاً
منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء

مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه
او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك من ذلك
فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه
لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد
هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر
ثنا ابن عبد المؤمن القرطبي ثنا ابن داسة ثنا ابو داود
احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن
ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية
من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها
او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في الصحف
بايدي المسلمين مما جمعته الدفتان من اول الحمد لله
رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان
جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك
او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه
ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى
مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية

لانه

لانه خالف القران ومن خالف القران قتل اي لانه
كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي
وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله
يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه
قال وكذلك ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله
ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجمعا على انه كذب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد وجميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد بحرف من التنزيل كفر
وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له كما قرات
ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال
اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال
عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به كله
ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض
القران فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوراة فقال له الاخر لعن الله
التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه
سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود
فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل
والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله
لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم

ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجرداً لضاق
التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقرائته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلاً اشهد
فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة
سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وكان ممن افتى عليه
بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال
اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما
من لعن المصحف فانه يقتل **فصل وسب آل النبي
صلى الله عليه وسلم واهل بيته وازواجه**
واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون
فاعله **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا
ابو الحسن الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى
ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا
محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رائطة
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي

فمن

فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وقال
عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر
الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا
معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا
تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه
وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه واذى النبي حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي
ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عائشة
وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد
اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك
رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن
شتم اصحابه ادب وقال ايضاً من شتم احداً من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او علياً
او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا في ضلال
وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس
نكل نكالاً شديداً وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادباً شديداً
ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد
ويكرر ضربه ويطال حبسه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون
من كفر احداً من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

سجنه

عليّاً او عثمان او غيرهما يوجع ضرباً وحكى ابو محمد
بن ابي زيد عن بعضهم من قال في ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي انهم كانوا على ضلالة او كفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى
عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل
قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال
ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابداً ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر
وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب
قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن
ولداً سبحانه في اثر كثير وذكر تعالى ما نسبه المنافقون
الى عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه
في تبريها من السوء كما سبح نفسه في تنزيهه من السوء
وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة
ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم
سبه وكان سبها سباً لنبيه وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كما حكم موذي
نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة بالكفر
فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا
فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه
واسكنه في الجامعين وروى عن عمر بن الخطاب انه

نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن
الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه
حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي بأعرابي
بجوا لانصار فقال لو ان له صحبة لكففتكموه
قال لمالك ومن انتقص احداً من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قسم الله الفيء
في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء
الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم انه زانية وامه
مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حد له وحداً
لامه ولو اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا
على غيره ولقوله عليه السلام من سب اصحابي
فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وفي كافرة حد
حد القرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا
الصحابي حياً قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا الحق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء نبيهم صلى الله عليه وسلم
ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به
قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة
يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب
عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر
توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه
وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل
انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر
الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض
المتسمين بالفقه قال ابو المطرف ذكر هذا لابنة
ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخص
باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك
ويوخر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة
ثابتة فيه ويبغض في الله وقال ابو عمران في رجل
قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه كان في مثل
ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه
وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا ويبلغ به
حد الموت وذكروها رواية قال القاضي ابو الفضل
هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتخر الغرض الذي
انتخبناه واستوفى في الشرط الذي شرطناه مما
ارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل
باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت

تستغرب

تستغرب ويستبدع وكرعت في مشارب
من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع
واودعته غير ما فصل ودرت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه او مقيدا يفيدنيه عن كتابه او فيه
لاكتفي بما ارويه عما ارويه والى الله جزيل الضراعة
بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه
واسهرنا به جفوننا لتتبع فضايله واعملنا فيه خواطرنا
من ابرار خصايصه ووسايله ويحمي اعراضنا عن ناره
الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا
اذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باقتنايه
واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نجوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا زمرة نبينا وجماعته
ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن
من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه
من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما
اودعناه وفهم ويستعيذه جل اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد
دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين

الرعيل هي الزمرة الاولى
يدخل الجنة

وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين نجز الكتاب المشفا بتعريف حقوق
المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعلى اله واصحابه الشرفا
ما بزغ نجم وعفا وسلم

وافق الفراغ منه فى اوائل شعبان المعظم سنة ست
وسبعين ومائة والف

320 Ult.